عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام

إعداد

د/ محمد هلال الصادق هلال

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

من ٧١٩ إلى ٧٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أعزنا بالإسلام ، وأعلى قدرنا بالقرآن ، ورفع هاماتنا باتباع خير الأنام، نحمده سبحانه وتعالى ونسأله أن يثبت أقدامنا عند اللقاء ، وأن يكتب لنا النصر على الأعداء .

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، ورافع لواء الحق والهدى في كل الميادين ، سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين .

أما بعد

فإن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله – تعالى – في خلقه ، باقية إلى قيام الساعة ، قال – سبحانه – : « وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاس بعْضهُمْ بِبعْضٍ لفسدت الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فضْلٍ عَلى الْعالمين »[1]، وما انتصر الباطل يوماً أو علت رايته إلا في غفلة من أهل الحق أو تغيبهم عن مواقعهم .

وقد اقتضت رحمة الله – تعالى – بعباده أن يقيض للحق على – مر الدهور – جنوداً يدافعون عنه وينافحون ، ويبذلون في سبيل نصرته كل غالٍ ونفيس ؛ إيقاناً منهم أن سعادة بني الإنسان لا تتحقق إلا برفع راية الحق فوق ربوع العالمين ، وارتكازا على الطاقة الإيمانية المتجددة المستمدة من رسالات السماء التي أتم الله صرحها ببعثة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ففتح به أعيناً عميا ، وآذاناً صُمّاً، وقلوبا غُلْفا ، وأرسى دعائم الحق في قلوب المؤمنين ، فخاضوا ميادين الجهاد في سبيل نصرة الحق وقمع الباطل ، فتحولوا – بفضل الله جل وعلا – من الضعف إلى القوة ، ومن الهزيمة إلى النصر ، ومن الذل إلى العز ، وتكونت على أيديهم دولة إسلامية كبرى لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية رقم /٢٥١

وبهذا امتن الله – سبحانه – على عباده المؤمنين ، فقال في كتابه الكريم : «واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(١).

وقد تعرضت الأمة الإسلامية عبر تاريخها لحروب شرسة ومحاولات عديدة لطمس الهوية واحتلال البلاد واستعباد العباد ، وفي ميدان المواجهة لتلك الحروب والمحاولات سجلت لنا ذاكرة التاريخ صفحات مشرقات من الازدهار والانتصار في عصور الاتباع، وفي المقابل صفحات مظلمات من الاندحار والانكسار في عصور الابتداع ، وهذا يصدقه قول الله – سبحانه – : « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى»(٢).

وسنة الله لا تختلف في ميدان النصر والهزيمة ، فمع منهج الله عز وانتصار ، ومع الإعراض ذل وانكسار .

ولا يخفى على أحد ما تعانيه أمتنا الإسلامية في وقتنا الحاضر من الاستضعاف والإجحاف ، الأمر الذي يندى له الجبين وتنفطر له قلوب المخلصين أسىً وحسرة ومرارة ، ويدفع إلى التساؤل : متى نصر الله .....؟

وإجابة هذا السؤال من الأهمية بمكان ، وهي موضوع بحثي هذا الذي وفقني الله – عز وجل – لاختياره ، ليكون بمثابة محاولة لتذكير الأمة الإسلامية بعوامل النصر على الأعداء ، تلك العوامل المتنوعة المتكاملة التي أرسى الإسلام دعائمها ورسم ملامحها ، وطبقها المسلمون في عصور الانتصار فعزوا وسادوا ، وعندما تتوافر في الأمة الآن أن تصبح مؤهلة لنصر الله .

وقد جعلت بحثي هذا بعنوان :

---

(١) سورة الأنفال ، الآية رقم/ ٢٦

(٢) سورة الآيات رقم / ١٢٣ – ١٢٦

(عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام)

وتأتي خطة هذا البحث على الوجه التالي :

- المقدمة .
- المبحث الأول : العوامل العقدية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام .
- المبحث الثاني : العوامل السياسية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام .
- المبحث الثالث : العوامل الثقافية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام .
- المبحث الرابع : العوامل الاجتماعية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام
- المبحث الخامس : العوامل الاقتصادية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام
- المبحث السادس : العوامل الأخلاقية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام .
- المبحث السابع : العوامل العسكرية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام .

والله أسأل أن يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً وأن ينفع به .

آمين

كتبه / راجي رحمة الخالق ذي الجلال

د/ محمد هلال الصادق هلال

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

المبحث الأول

العوامل العقدية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

إن المتتبع لانتصارات الأمة الإسلامية عبر تاريخها يدرك أن تلك الانتصارات لم تكن – في غزوة من الغزوات أو في معركة من المعارك – ثمرة لكثرة عدد أو قوة عُدَة ، وإنما كانت ثمرة لعقيدة إيمانية تعْمُر بها القلوب وتترجمها القوالب سلوكاً إسلامياً في كافة ميادين الحياة ، طاعةً لله ورسوله ، خاصة في ميدان الجهاد عندما ينادي المنادي : (حي على الجهاد) .

فالعقيدة الإيمانية عموماً والعقيدة الجهادية المنبثقة منها خصوصاً من أبرز عوامل النصر على الأعداء، وبناءً عليه فالأمة الإسلامية الآن – في تلك الفترة العصيبة من تاريخها – بحاجة إلى : ترسيخ العقيد الإيمانية ، وترجمتها في قالب الطاعة لله ورسوله ، واستنفار روح الجهاد في سبيل الله تعالى ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : ترسيخ العقيدة الإيمانية :

إن العقيدة الإيمانية بمثابة الطاقة الوثابة التي تشحن النفوس وتجعلها على أتم استعداد لبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل تلك العقيدة ، وما أكثر الأدلة على هذا :

فسحرة فرعون بعد أن امتزجت عقيدة الإيمان بقلوبهم استعذبوا الموت في سبيل العقيدة الإيمانية دون اكتراث بأي تهديد أو وعيد ، قال – سبحانه – : «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

والّذي فطرنا فاقْض ما أنْت قاض إنّما تقْضي هذه الْحياة الدُّنْيا * إنّا آمنّا بربّنا ليغْفر لنا خطايانا وما أكْرهْتنا عليْه من السّحْر واللّهُ خيْرٌ وأبْقى » [١].

والمسلمون الأوائل أنشأتهم هذه العقيدة نشأة جديدة ، فإذا هم يبذلون أرواحهم ودماءهم وأموالهم في سبيلها ، وحفلت سيرهم بالأعاجيب التي لا تزال تتلألأ على صفحات التاريخ .

ولذلك عندما سُجن (لويس التاسع) ملك فرنسا في دار ابن لقمان بالمنصورة أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه ، ثم عاد يقول لقومه : " إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده – فقد هُزمتم في معركة السلاح – ولكن حاربوهم في عقيدتهم ، فهي مكمن القوة فيهم ".

وقد فاحت رائحة تلك الأمنية من أفواه حكماء صهيون بقولهم في البرتوكول الرابع : (علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول الناس ، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية "[٣].

وأعداء الإسلام – منذ أمد بعيد وإلى الآن – يبذلون جهودا ضخمة لإقصاء العقيدة الإيمانية وانتزاعها من القلوب من خلال المحاولات المستمرة لتشكيك المسلمين في دينهم ، والعمل على إقرار العلمانية التي تستهدف عزل الدين عن إدارة حركة الحياة ، وتهميش الثقافة الدينية في المؤسسات التثقيفية (الإعلامية والتعليمية) ، مما أدى إلى ضعف العقيدة في نفوس كثير من أفراد الأمة الإسلامية ، وبالتالي ضعفت فيهم روح المقاومة ، بل روح الاستنكار!!! وكان الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة عندما وهنت علاقتها بالمفجّر الأول لطاقاتها المكنونة وقدراتها المختزنة.

---

(١) سورة طه . الآيات رقم ٧٠ – ٧٣

(٢) واقعنا المعاصر ، محمد قطب . صـ ١٩٦

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة / محمد خليفة التونسي صـ ١٧٨.

" من أجل هذا كان واجب الدعاة إلى الإسلام والمجاهدين في سبيله أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية العقيدة ، وأن يجعلوا من الوطن والأرض والمال والحياة وسائل لحفظها وترسيخها حتى إذا اقتضى الأمر بذل ذلك كله في سبيلها وجب بذله .

ذلك أن الدين إذا فُقد أو غُلب عليه لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض ، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضاً من ورائه ، أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود ، يعود أقوى من ذي قبل حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة .

ولقد جرت سنة الله في الكون على مر التاريخ أن تكون القوى المعنوية هي الحافظة للمكاسب والقوى المادية ، وقد تصادف أن تجد أمة تائهة في عقيدتها عن جادة الصواب منحطة في مستواها الخلقي والاجتماعي وهي مع ذلك واقفة على قدميها من حيث القوة والسلطان المادي ، ولكنها في الحقيقة والواقع تمر بسرعة نحو هاوية سحيقة ، والسبب في أنك لا تحس بحركة المرور وسرعته هو قصر عمر الإنسان أمام طول عمر التاريخ والأحقاب ، ومثل هذه الحركة إنما تبصرها عين التاريخ الساهرة لا عين الإنسان الغافل الساهي .

وقد تصادف أن تجد أمة تعرّت عن كل مقوماتها المادية من ثروة ووطن ومال في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة وفي سبيل بناء النظام الاجتماعي السليم ، ولكن ما هي إلا فترة قصيرة حتى تجد أرباب هذه العقيدة الصحيحة وما يتبعها من الخلق والنظام الاجتماعي السليمين قد استحوذوا على وطنهم المسلوب ومالهم المغصوب وعادت إليهم قوتهم مضاعفة معززة .

ولذلك فإن من أسس الدعوة إلى الإسلام التضحية بالمال والوطن والحياة في سبيله ، فبذلك يضمن المسلمون لأنفسهم المال والوطن والحياة ".[١]

---

(١) انظر : فقه السيرة النبوية ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ، صـ ٩٢ ، ٩٣ بتصرف

ومما هو جدير بالذكر أن ترسيخ العقيدة الإيمانية ليس واجب الدعاة إلى الله – تعالى – وحدهم ، وإنما هو واجب كل المؤسسات التربوية والتثقيفية (الأسرة ، والمسجد ، والمؤسسات التعليمية ، والمؤسسات الإعلامية) وواجب كل من استشعر حلاوة الإيمان في قلبه وقوة اليقين في نفسه .

وبتضافر جميع الجهود لترسيخ العقيدة الإيمانية يصبح تفعيل كافة العوامل التي من شأنها إحراز النصر على الأعداء في حيز الإمكان ، والله المستعان .

ثانياً : ترجمة العقيدة القلبية في قالب الطاعة لله ورسوله :

إن العقيدة الإيمانية إذا استقرت في القلب انعكست على سلوك صاحبها طاعة لله ورسوله ، وامتثالاً للأوامر والنواهي في كافة الميادين ، وبتلك الطاعة يتحقق النصر بإذن الله تعالى .

قال – سبحانه – «يَا أَيُّهَا الَّذِين آمنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ منْكُمْ » (١).

وقال – جل وعلا – «وأَطِيعُوا اللَّه ورسُولَهُ»(٢).

وقال – عز من قائل – «ولَينْصُرنَ اللَّهُ منْ ينْصُرُهُ»(٣).

وقال – تباركت أسماؤه – «يا أَيُّها الَّذين آمنُوا إِنْ تنْصُرُوا اللَّه ينْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامكُمْ »(٤).

ومن المعلوم أن الله – تعالى – ليس بحاجة إلى نصرة أحد ، وإنما يريد بنصرته تعالى إطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، فالمعنى : " إن تنصروا دينه ينصركم على أعدائكم ويثبتكم في مواطن الحرب "(٥).

---

(١) سورة النساء ، من الآية رقم / ٩٥

(٢) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٦

(٣) سورة الحج من الآية رقم ٤٠

(٤) سورة محمد ، الآية رقم ٧

(٥) صفوة التفاسير ، د/ محمد علي الصابوني ٣ / ١٩٢

وقال تقدست ذاته : «وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»[١]

ولنا أن ننظر في تلك الوصية الجليلة التي أوصى بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – وهو متوجه بالجيش الإسلامي لخوض المعركة الفاصلة مع الفرس (القادسية) :

" أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله – عز وجل – أفضل العدة على العدو ، وأقوى العدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما يُنْصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإنا لا ننصر عليهم بفضلنا ولم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شر منا ولن يُسلط علينا وإن أسأنا ، فرُبَّ قوم سُلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم "[٢]

---

(١) سورة النور ، الآيتان رقم / ٥٥ ، ٥٦

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه – شخصيته وعصره . د/ علي محمد محمد الصلابي ، صـ ٣٠٤.

فطاعة الله ورسوله في كل الأحوال مجلبة لنصر الله تعالى ، خاصة في أوقات الشدائد والأزمات ، ولا أدل على ذلك من هزينة المسلمين في غزوة أحد عندما خالف بعض الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات في أماكنهم على كل حال ، وطاعة أولي الأمر لا تكون إلا في إطار من طاعة الله ورسوله .

ثالثاً : استنفار روح الجهاد في سبيل الله تعالى :

الجهاد في اللغة : مأخوذٌ من الجهد ، وهو الطاقة والمشقة ، يقال : جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدةً : إذا استفرغ وسعه وبذل طاقته وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته . (١)

وفي الاصطلاح الشرعي : " بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله ؛ ولهذا قيد الجهاد في الإسلام بأنه في سبيل الله ليدل على هذا المعنى الضروري لتحقيق الجهاد الشرعي " (٢).

وإن المستقرىء لأحوال الأمم عبر التاريخ يدرك انه ما من حركة إصلاحية علا شأنها ، وحفر في جبين التاريخ أثرها إلا وقد استمدت من روح الجهاد التي تملأ نفوس أربابها طاقة وثابة تدفعها إلى الأمام .

ولا ريب في أن دعوات الأنبياء والمرسلين تأتي في مقدمة هذه الحركات الإصلاحية الرامية إلي إقرار الحق والخير، ودحر الباطل والشر ، ولذلك لم يدخر أنبياء الله ورسله وأتباعهم وسعاً في هداية البشر إلى طريق الله ، تهوّن عليهم مصاعبه روحُ الجهاد التي يتنسمون أريجها من تعاليم السماء ، فتثمر في نفوسهم عزيمة الأبطال الأقوياء ، انطلاقا من أن الحق لا بد له من قوة تنشره وتحميه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الله الحق كفيل بقدرته التي لا تقهر أن ينصر دينه الحق حتى بغير قتال ، لكنه – سبحانه – يُمحصُ عباده المؤمنين ، ويصهر نفوسهم

---

(١) انظر . لسان العرب ١ / ٧٠٨ – ٧١٠

(٢) أصول الدعوة ، د/ عبد الكريم زيدان . صـ ٢٧٢ .

في بوتقة الجهاد كي تزداد صلابتها وقدرتها على حمل أمانة الدعوة إليه ومواجهة قوى الباطل، فضلا عما يمثله الجهاد بالنفس – على وجه الخصوص – والمال من دليل قاطع على الإيمان والمبادرة إلى ما يحبه الله ابتغاء مرضاته .

قال – تعالى – : «أَمْ حسِبْتُمْ أَنْ تدْخُلُوا الْجنَةَ ولَمَّا يعْلم اللَّهُ الَّذين جاهدُوا منكُم ويعْلم الصَّابِرين»[١].

وقال – سبحانه – : «ولَوْ يشاءُ اللَّهُ لانْتصر منْهُمْ ولكنْ ليبْلُو بعْضكُمْ ببعْض»[٢].

وقال – جل وعلا – : «ولَنبْلُونَّكُمْ حتَّى نعْلم الْمُجاهدين منْكُمْ والصَّابِرين ونبْلُو أَخْباركُمْ»[٣].

وكما هو معروف أن ما يُحقَّقُ بعناء يحظى بموقع التكريم والعناية والحرص في النفس الإنسانية بخلاف ما يدركه الإنسان بسهولة ويسر .

ولأن الجهاد الإسلامي فريضة ماضية إلى قيام الساعة فقد سلك الإسلام منهجا متميزا في استنفار روح الجهاد في سبيل الله تعالى ، كي تبقى طاقة متجددة إلى قيام الساعة تحفظ للأمة عزتها وكرامتها ، وتقيها من الطامعين والمعتدين، ويتمثل هذا المنهج فيما يلي :

١ – إقرار الشعور الفطري تجاه القتال :

وذلك في قوله – تعالى – : «كُتب عليْكُمْ الْقتالُ وهُو كُرْهٌ لكُمْ »[٤].

" إن إدراك الإسلام للطبيعة البشرية ، وصراحته التامة في الاعتراف بها ، جعله يقول : إن القتال (كره) للمقاتلين .

ومن خلال هذا الاعتراف الصريح يصل إلى نتيجتين في آن واحد :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم / ١٤٢ .

(٢) سورة محمد . من الآية رقم / ٤ .

(٣) سورة محمد . الآية رقم ٣١ .

(٤) سورة البقرة . من الآية رقم ٢١٦ .

الأولى : أنه لا يدع مجالاً للكبت الذي يمكن أن ينشأ في نفوس بعض المقاتلين – بل كثير منهم – حين يصادر حقهم في استشعار كراهية القتال مما يؤدي بهم إلى التخاذل في ساحات الوغى .

الثانية: أن هذا الاعتراف من جانب الله – سبحانه – بأنه لا يستنكر من عباده أن يكرهوا هذا التكليف الثقيل ، يجعل هؤلاء العباد يندفعون إلى القتال بحماسة عجيبة مسطّرين البطولات "[١].

٢ – تصحيح النظرة النفسية إلى القتال :

وذلك في قوله – تعالى – : «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وعسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُو شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون» [٢].

فلا ينبغي أن يكون الكُرْه النفسي للقتال سبباً في التقاعس عنه أو الفرار يوم الزحف ، فهذا أمر شائن لا يزال الإسلام يُنفِّر منه، ويصوره في أقبح صورة ، ويتوعّد عليه .

قال – سبحانه – : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٣].

وقال – جل شأنه – : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [٤].

---

(١) انظر : الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب صـ ٧٧ بتصرف ؛ في ظلال القرآن ١ / ٢٢٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة ، من الآية رقم/ ٢١٦ .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان رقم/ ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) سورة الأنفال ، الآيتان رقم/ ١٥ ، ١٦ .

وتصحيح النظرة النفسية إلى القتال يرتكز على مدى إيمان العبد بهذه القاعدة الإيمانية « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » تلك القاعدة التي يفوح منها " الترغيب العظيم في الجهاد ، وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد قصور علم نفسه وكمال علم الله تعالى ، ثم علم أنه – سبحانه – لا يأمر العبد إلا بما فيه خيرته ومصلحته ، علم قطعا أن الذي أمره الله – تعالى – به وجب عليه امتثاله ، سواء كان مكروها للطبع أم لم يكن "[١] .

وفي ظل هذه القاعدة الإيمانية يأتي تصحيح النظرة النفسية إلى القتال من العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، « وعسى أنْ تكرهُوا شَيْئاً وهُو خيْرٌ لكُمْ وعَسَى أنْ تُحبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لكُمْ واللّهُ يعْلمُ وأنْتُمْ لا تعْلمُون » ، فلعل وراء المكره خيراً ، ووراء المحبوب شراً ، " ربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال ، وهو سببٌ للمنافع الجليلة في المستقبل وبالضد، ولأجله حسُن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل .

إن ترك الجهاد وإن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل ، وصون المال عن الإنفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار ، منها :

أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدعة والسكون قصد بلادكم ، وحاول قتلكم ، فإما أن يأخذكم ويستبيح دماءكم وأموالكم ، وإما أن تحتاجوا إلى قتالهم من غير إعداد آلة وسلاح ، وهذا يكون كترك مداواة المرض في أول ظهوره بسبب نفرة النفس عن تحمل مرارة الدواء ، ثم في آخر الأمر يصبر المرء مضطرا إلى تحمل أضعاف تلك النفرة والمشقة "[٢].

٣- إبراز الخير الكامن في الجهاد :

وهو مما يساعد على استنفار روح الجهاد في سبيل الله ، وإضعاف أثر الكره النفسي للقتال ، والجهاد في سبيل الله يثمر خيرا مزدوجا في الدنيا والآخرة :

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٣/٣١.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣/٣٠.

• أما خير الجهاد في الدنيا فيتلخص في تحقيق الأمن والاستقرار والازدهار للمجتمع ، وتفصيل ذلك كالتالي :

أ- الجهاد وتهذيب النفس الإنسانية :

قال – سبحانه – : «ومَنْ جَاهَدَ فإنَّما يُجاهدُ لنفْسه» [١]، فالجهاد قبل أن يصل خيره إلى الجماعة المؤمنة " يصلح من نفس المجاهد وقلبه ، ويرفع من تصوراته وآفاقه ، ويستعلي به على الشح بالنفس والمال ، ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات : صبراً على تكاليف الدعوة ، واستقامة على أفق الإيمان ، واستقراراً على مقتضياته في الشعور والسلوك "[٢].

فضلاً عما يثمره الجهاد الإسلامي من ضبط النفس وعدم الاندفاع بها أو التمادي في القتال لمجرد التعصب أو إشباعاً لشهوة الانتقام ، وهذا واضح في آيات كثيرة ، منها : قوله – تعالى – : «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُون فِتْنَةٌ ويَكُون الدِّينُ للَّه فإنِ انْتَهَوْا فلا عُدْوَانَ إلَّا على الظَّالمين»[٣]، وقوله – تعالى – : «وقَاتِلُوا في سبيل اللَّه الَّذين يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الْمُعْتَدين»[٤]، وقوله – جل وعلا – : «فمن اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْه بمثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُوا اللَّه واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مع الْمُتَّقين» [٥]، وقوله – تباركت أسماؤه – : «وإنْ عَاقَبْتُمْ فعَاقِبُوا بمثْلِ ما عُوقِبْتُمْ به»[٦].

فمبدأ العدالة قائم في الإسلام حتى في العقاب ، ولو كان المُعاقب على غير ملة الإسلام ، فلا يبيح الإسلام تجاوز المثلية في الاعتداء ، بل إنه يرغب في العفو

---

(١) سورة العنكبوت ، من الآية رقم / ٦ .

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٢٧٢٢ ، ١ / ٤٨٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية رقم/ ١٩٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية رقم/ ١٩٠ .

(٥) سورة البقرة ، من الآية/ رقم ١٩٤ .

(٦) سورة النحل ، من الآية رقم/ ١٢٦ .

الشخصي – أي عن الاعتداءات الشخصية – شريطة ألا يؤدي هذا العفو إلى استشراء الفساد .

قال – تعالى – : «وجزاءُ سيِّئَة سيِّئَةٌ مثْلُها فمنْ عفا وأصْلح فأجْرُهُ على اللّه إنَّهُ لا يُحبُّ الظَّالمين»[١].

ولا شك أن النفس المهذبة المنضبطة ذات أثر فعال في ميادين القتال .

ب– الجهاد وتطهير المجتمع من الانحراف :

إذ أن جهاد الأعداء لا بد أن يسبقه جهاد النفس التي تنطلق بروح الجهاد آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، آخذة على يد الانحراف ، فلا يليق أن يُعْنى بجرح خارجي ويُتْرك النزيف الداخلي ، قال – تعالى – : «كُنْتُمْ خيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس تأْمرُون بالْمَعْرُوف وتَنْهَوْنَ عنِ الْمُنْكر وتُؤْمنُون باللّه» [٢].

ج– الجهاد وإرهاب الأعداء :

فالجهاد ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب ، وترك الجهاد سبب للمذلة والهوان وضياع الديار وتسلط الكفرة على بلاد الإسلام ، ونشر معتقداتهم وأخلاقهم ، وانتهاك حرمات المسلمين ، وانتهاب أموالهم ، والعمل على فتنتهم في دينهم .

وتجنباً لهذه المفاسد أمر الله عباده المؤمنين بإعداد القوة لمواجهة أعدائهم ، قال – سبحانه – : «وأعدُّوا لهُمْ ما اسْتطعْتُمْ منْ قُوَّة ومنْ رباط الْخيْل تُرْهبُون به عدوَّ اللّه وعدُوَّكُمْ» [٣].

---

(١) سورة الشورى ، الآية رقم/ ٤٠ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية رقم/ ١١٠ .

(٣) سورة الأنفال ، من الآية رقم/ ٦٠ .

وأهاب النبي (ﷺ) بالمؤمنين بأن يأخذوا بأسباب القوة فقال في حديثه الشريف : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"[١].

د- الجهاد والنصر والغنيمة :

لقد وعد الله – عز وجل – عباده المؤمنين – الذين يجاهدون في الله حق جهاده استجابة لقوله – سبحانه – : «وجاهِدُوا في اللَّهِ حقَّ جهاده » [٢]– بأن ينصرهم بنصره ، قال – تعالى – : «ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللَّه لَقَوِيٌّ عزيزٌ»[٣]، وقال – جل جلاله – : «يا أَيُّها الَّذين آمنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللَّه يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامكُمْ»[٤].

وهذا التأييد الإلهي يرتفع بالنفوس على الشعور بالخوف ، وكيف يخاف من كان الله معه ؟ ثم إن النصر على الأعداء يترتب عليه – في الغالب – الظفر والغنيمة والتمكين في الأرض ؛ استثماراً لخيراتها وإقامةً لمنهج الله فيها ، ولعل هذا مما يزيل الكره النفسي للقتال .

- وأما خير الجهاد في الآخرة فما أعظمه ، شريطة أن يكون خالصاً في سبيل الله تعالى .

فعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال – سُئل رسول الله (ﷺ) عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياءً ، أيّ ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله (ﷺ) :" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريره – رضي الله عنه – في كتاب (القدر) باب (الإيمان للقدر والإذعان له) حديث رقم (٢٦٦٤) (بشرح النووي ١٦ / ٢١٥)

(٢) سورة الحج ، من الآية رقم/ ٧٨ .

(٣) سورة الحج ، من الآية رقم/ ٤٠ .

(٤) سورة محمد ، الآية رقم / ٧ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) حديث رقم (١٩٠٤) (بشرح النووي ١٣ / ٤٩).

وما أكثر الأدلة القرآنية والنبوية على عظم جزاء المجاهدين في سبيل الله ، ومن هذه الأدلة :

قوله – تعالى- : «ولا تحْسبنّ الّذين قُتلُوا في سبيل اللّه أمْواتا بل أحْياءٌ عند ربِّهمْ يُرْزقُون * فرحين بما آتاهُمُ اللّهُ منْ فضْله ويستبْشرُون بالّذين لمْ يلْحقُوا بهمْ منْ خلْفهمْ ألّا خوْفٌ عليْهمْ ولا هُمْ يحْزنُون * يستبْشرُون بنعْمة من اللّه وفضْل وأنّ اللّه لا يُضيعُ أجْرَ الْمُؤْمنين»(١).

وقوله – سبحانه – : «فلْيُقاتلْ في سبيل اللّه الّذين يشْرُون الْحياة الدُّنْيا بالْآخرة ومنْ يُقاتلْ في سبيل اللّه فيُقْتلْ أوْ يغْلبْ فسوْف نُؤْتيه أجْرا عظيما» (٢).

وقوله – جل وعلا – : «إنّ اللّه اشْترى منَ الْمُؤْمنين أنْفسهُمْ وأمْوالهُمْ بأنّ لهُمُ الْجنّة يُقاتلُون في سبيل اللّه فيقْتُلُون ويُقْتلُون وعْدا عليْه حقّا في التّوْراة والْأنْجيل والْقُرْآن ومنْ أوْفى بعهْده منَ اللّه فاسْتبْشرُوا ببيْعكُمُ الّذي بايعْتُمْ به وذلك هُو الْفوْزُ الْعظيمُ» (٣).

وقوله – تعالى – : «يا أيُّها الّذين آمنُوا هلْ أدُلُّكُمْ على تجارة تُنْجيكُمْ منْ عذاب أليم * تؤْمنُون باللّه ورسُوله وتُجاهدُون في سبيل اللّه بأمْوالكُمْ وأنْفُسكُمْ ذلكُمْ خيْرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُمْ تعْلمُون * يغْفرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ ويُدْخلْكُمْ جنّات تجْري منْ تحْتها الْأنْهارُ ومساكن طيِّبة في جنّات عدْن ذلكَ الْفوْزُ الْعظيمُ * وأُخْرى تُحبُّونها نصْرٌ منَ اللّه وفتْحٌ قريبٌ وبشّرِ الْمُؤْمنين» (٤).

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات رقم / ١٦٩ – ١٧١ .

(٢) سورة النساء ، الآية رقم /٧٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية رقم/ ١١١ .

(٤) سورة الصف ، الآيات رقم / ١٠ – ١٣

وقوله (ﷺ) : " مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالماً مع أجرٍ أو غنيمة "[١].

كل هذه الأدلة بما تحويه من أجر عظيم استنفار لروح الجهاد في سبيل الله ، وفي المقابل يذم الإسلام من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، حيث قال رسول الله (ﷺ) : " من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق "[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجهاد تتسع مساحته لكل مسلم ، كلّ بقدر استطاعته ، وفضل الله عظيم ، وهنا يُذكر حديث رسول الله (ﷺ) : " من جهّز غازياً فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا "[٣].

وبتلك العوامل العقدية تكون الانطلاقة القوية للأمة في طريق النصر على الأعداء .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب (الجهاد والسير) باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) حديث رقم (٢٧٨٧) (الفتح ٦ / ٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب (الجهاد والسير) باب (ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو) حديث رقم (١٩١٠) (بشرح النووي ١٣ / ٥٦)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه – في كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل إعانة المغازي في سبيل الله تعالى بمركوب أو غيره) حديث رقم (١٨٩٦) (بشرح النووي ١٣ /٤٠)

المبحث الثاني

العوامل السياسية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

لا يخفى على أحد أن الميدان السياسي يمثل ميدان القيادة ، وبحسبه تُحدّد الاتجاهات في كافة الميادين الأخرى ، وبحسبه تُقاد الأمة إلى النصر أو تُساق إلى هوة الذل والهوان .

وحتى تُقاد الأمة إلى النصر يحتاج الميدان السياسي إلى ما يلي :

أولاً : كفاءة القيادة السياسية الإسلامية :

" إن الأمم الأوروبية – برغم إفلاسها في الروح والأخلاق وبرغم عيوبها الكثيرة – قوية الوعي – المدني والسياسي – قد بلغت سن الرشد في السياسة ، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها ، وتميز بين الناصح والخادع ، وبين المخلص والمنافق ، وبين الكفء والعاجز ، فلا تولي قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء ، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر ، فإذا رأت منهم عجزا أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم وانتهوا من أمرهم استغنت عنهم وأبدلت بهم رجالا أقوى منهم وأعظم كفاءة وأجدر بالموقف ، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع وأعمالهم الجليلة وانتصارهم في حرب ، أو نجاحهم في قضية ، وبذلك أمنت السياسيين المحترفين ، والقيادة الضعيفة أو الخائنة ، وخوف ذلك الزعماء ورجال الحكم وكانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأي العام ...وليعرف الزعماء السياسيون والقادة أن الأمة التي يعوزها الوعي غير جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح وإن أطرت الزعامة والزعماء وقدستهم فإنها – ما دامت ضعيفة الوعي – عرضة لكل دعاية وتهريج وسخرية كريشة في فلاة تلعب بها الريح ولا تستقر في مكان "[1].

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، صـ ٤١٥ ، ٤١٦ بتصرف .

والحقيقة التي لا مناص من تقريرها أن الأمة الإسلامية لن تنتصر في ميدان الحرب إلا إذا أنعم الله عليها بقيادة تقودها إلى النصر في ميدان السلم ، وإن لم تُرْزق الأمة قيادة إيمانية تملك مؤهلات القيادة سلما وحربا فإنها ستُحْرم النصر لأمد لا يعلمه إلا الله .

ثانياً : ضبط السياسة بالإسلام :

إن الإسلام منهج إصلاح شامل للحياة بكل جوانبها ، ومن التضليل أن يُقال : لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، والقائل بذلك إما جاهل بالإسلام وإما صاحب هوى وانحراف ويخشى من سلطة الدين التي تقيم العدل والمساواة ، وإذا ما تركت الأمة الإسلامية ميدان الإسلام أو ملّكت زمامها لقيادة سياسية تقودها بغير الإسلام ضلّت وزلّت .

يقول – سبحانه – : «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فما جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذابِ وما اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (١).

ويقول – جل وعلا – : «وأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لفاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (٢).

ثالثاً : التفاعل بين الراعي والرعية على أسس إسلامية :

إن التفاعل الذي يقوم بين الراعي والرعية هو الذي يُحْدِثُ التلاحم والتلاؤم في السلم والحرب ، وأعظم تفاعل هو ما يرتكز على أسس إسلامية : حرصا من

---

(١) سورة البقرة ، من الآية رقم /٨٥

(٢) سورة المائدة ، الآيتان رقم / ٤٩ . ٥٠

الراعي على مصلحة الرعية وقيادتها بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وتفعيلاً للشورى بين الراعي وذوي الرأي والتخصص من الرعية ، وسياسة الرعية بالعدل والمساواة.

قال رسول الله (ﷺ) : " كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته....الحديث "[١].

وقال – سبحانه – : «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»[٢].

وقال – سبحانه – : «وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ »[٣].

فقد أُمِر رسول الله (ﷺ) بالشورى وبالعدل ليقتدي به كل من يخلفه في قيادة الأمة .

وقال(ﷺ) : " وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"[٤].

ومن جانب الرعية تكون الطاعة والمؤازرة للراعي في غير معصية الله تعالى ، قال – سبحانه – : «يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»[٥].

وقال (ﷺ) : " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة "[٦].

فإذا توافرت هذه العوامل في الميدان السياسي أصبح صالحاً لقيادة كافة الميادين وتوجيهها إلى وجهة النصر على أعداء الأمة الإسلامية .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – في كتاب (الجمعة) باب (الجمعة في القرى والمدن) حديث رقم (٨٩٣) (الفتح ٢ / ٤٨٢).

(٢) سورة آل عمران ، من الآية رقم / ١٥٩ .

(٣) سورة الشورى ، من الآية رقم/ ١٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – في كتاب (الحدود) باب (كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان) حديث رقم (٦٧٨٨) (لبفتح ١٢ / ١٠٣) .

(٥) سورة النساء من الآية رقم/ ٥٩ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – في كتاب (الأحكام) باب (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) حديث رقم (٧١٤٤) (الفتح ١٣ / ١٥٢) .

المبحث الثالث

العوامل الثقافية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

إن الأمة الإسلامية في طريق النصر بحاجة إلى تحصين ثقافي ضد جراثيم الغزو الفكري ، ولا يكون هذا التحصين إلا بثقافة إسلامية شاملة شمول الإسلام ، تُحدِث الوعي في طبقات الأمة بما يُحاك لها ليل نهار من مؤامرات ، " فالشعوب الإسلامية والبلاد العربية – للأسف الشديد – ضعيفة الوعي – إذا تحرجنا أن نقول : فاقدة الوعي – فهي لا تعرف صديقها من عدوها ، ولا تزال تُلدغ من جحر واحد ألف مرة ، ولا تعتبر بالحوادث والتجارب ، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان ، وهي ضعيفة في الوعي الديني والاجتماعي وأضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جرّ عليها ويلا عظيماً وشقاءً كبيراً ، فمن أعظم ما تُخدم به هذه الأمة هو إيجاد الوعي في طبقاتها "[١].

وهذا الوعي الثقافي الذي يحتاج إلى تكاتف كل المؤسسات التثقيفية (الأسرية والإعلامية والتعليمية) لا بد من التركيز فيه على الثقافات التالية التي تخدم الأمة في معركتها مع أعدائها :

أولاً : ثقافة الاعتزاز :

هناك شعور خطير يخيم على نفوس كثير من المسلمين اليوم ، هذا الشعور هو الشعور بالدونية ، الشعور بأنهم أضعف وأقل من أعدائهم ولا قبل لهم بمواجهتهم ، ولا شك أن هذا الشعور بالدونية يصيب الأمة بالهزيمة النفسية في الجنان قبل الهزيمة العسكرية في الميدان ، وما أُصيبت أمة بالهزيمة النفسية إلا وعجزت عن مواجهة أعدائها .

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي صـ ٤١٤ . ٤١٥ بتصرف

" إن الهزيمة النفسية شعور بالهوان والضعة والضعف والعجز عن مجاراة الأعداء، فضلا عن التفوق عليهم. إن الهزيمة النفسية في أدق صورها وأجلى معانيها ذوبان في الشخصية ، إنها ذل يعيش في سويداء القلب ، ورضا بالدونية يجعل صاحبه لا يرفع رأسه ولا يفتح عينيه . إنها واقع مريض أسود يتحول به المهزوم إلى ظل لهازمه يسير في ركابه ولا يسلك إلا الطريق الذي يسلكه ولا يرى إلا ما يراه ولا يسمع إلا ما يسمعه ، وبناءً عليه يمكن القول : إن الهزيمة النفسية تمر بعدة مراحل:

الأولى : هي الشعور بالضعف والذلة والهوان .

والثانية : هي الانبهار والإعجاب والتعلق .

والثالثة : هي التقليد والمتابعة والمحاكاة .

وقد وقع كل ذلك في حياة المسلمين تقريباً "[١].

وهذا هو ما أخبر به الرسول (ﷺ) حيث قال في حديثه الشريف : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟" [٢].

فالمسلمون – في طريق الكفاح والنضال لتحقيق النصر– لا بد أن يستشعروا العزة – من خلال التغذية الثقافية – بالله وبرسول الله وبدين الله حتى يعيشوا أعزة لا يذلون إلا لله .

إن المسلم يعتز بربه العزيز ، قال – سبحانه – : «هُو اللَّهُ الَّذي لا إله إلَّا هُو الْملكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمنُ الْمُهيْمنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتكبِّرُ سُبْحان اللَّه عمَّا

---

(١) انظر : المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، عبد الله حمد الشبانة صـ ٣١ بتصرف : الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياد الأمة . على بن بخيت الزهراني ٢ / ٢١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد – رضي الله عنه – في كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) حديث رقم (٣٤٥٦) (الفتح ٦ / ٦١٣) .

يُشْرِكُون»[١] . فمن أراد أن يكون عزيزا فليوثق صلته بالله العزيز «منْ كان يُرِيدُ الْعِزَّةَ فللّه الْعِزَّةُ جميعا»[٢].

والمسلم يعتز بنبيه محمد (ﷺ) الذي لم ينحن قط إلا لله ، والذي جاء المشركون إلى عمه أبي طالب يتهددون ويتوعدون : اصرف عنا ابن أخيك وإلا فخلِّ بيننا وبينه ، فما لانت عزيمة رسول الله ، ولا تحركت شعرةٌ حركةَ خوف في جسد رسول الله ، وإنما أعلنها كلمات مدوية تنم عن عز المسلم المتصل بمولاه " يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته "[٣].

والمسلم يعتز بدينه الذي ارتضاه الله للعالمين ، قال – سبحانه – : «إِنَّ الدِّين عِنْد اللّه الْأِسْلاَمُ»[٤]، وقال – تعالى – : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وأَتْمَمْتُ عليْكُمْ نِعْمتِي ورضِيتُ لكُمُ الْأِسْلام دِيناً»[٥].

وهو الدين الذي أخرج الله به المسلمين من الذل إلى العز ، فإذا ابتغوا العزة في غيره أذلهم الله .

فإذا اعتز المسلم بربه ونبيه ودينه عاش عزيزاً لا يذل إلا لله واضعا نصب عينيه قول الله – تعالى – : «وللّه الْعِزَّةُ ولرسُوله وللْمُؤْمنين »[٦]، وواضعا نصب عينيه قول رسول الله (ﷺ) : " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم

---

(١) سورة الحشر ، الآية رقم/ ٢٣ .

(٢) سورة فاطر من الآية رقم/ ١٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٦١ . الرحيق المختوم ، المباركفوري صـ ٩٣ .

(٤) سورة آل عمران ، من الآية رقم/ ١٩ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية رقم/ ٣ .

(٦) سورة المنافقون من الآية رقم/ ٨ .

ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك [١].

وعندما عاش المسلمون الأوائل بهذا المنهج أعزهم الله ودانت لهم الدنيا، وصور الاعتزاز المشرقة تتلألأ في صفحات تاريخ المسلمين الأوائل ، ومن تلك الصور ما يلي :

١- الصمود العظيم وعدم الانحناء أمام وطأة الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على رسول الله (ﷺ) - ومن آمن به أو آزره - في شعب أبي طالب ، ذلكم الحصار الذي استمر" ثلاث سنوات بدءاً من المحرم سنة سبعٍ من البعثة إلى السنة العاشرة منها ، وقيل : بل استمر ذلك سنتين فقط "[٢]، ورغم قسوة الحصار إلا أنه لم ينل من عزة المحَاصَرين ، بل خرجوا أعزة موفوري الكرامة يهابهم ويُعجب بهم أهل مكة ومن حولها ، وازدادت قبائل العرب لهم تقديراً واحتراماً وإدراكا يقينياً بأن عزة الإسلام لا تُقهر.

٢- هجرة العلن والتحدي التي قام بها سيدنا عمر بن الخطاب - ﷺ - فإنه " لما هم بالهجرة تقلَّد سيفه وتنكَّب قوسه وانتضى في يده أسهماً وأتى الكعبة وأشراف قُريش بفنائها ، فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه ويِيتم ولده وتُرمِّل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد "[٣].

٣- منطق العزة والإباء والشموخ الذي تحدث به سيدنا خبيب بن عدي - ﷺ - في لحظات النهاية أمام أعدائه ، فعندما أراد بنو الحارث بن عامر قتله " وخرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحلِّ قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه فركع

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في كتاب (صفة القيامة) باب (٥٩) حديث رقم (٢٥١٦) (٤ / ٥٧٦) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) فقه السيرة . د/ البوطي صـ ٨٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ ١٣٠.

ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت . ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً . ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع[١]

٤- ثبات الخُطى في ساحات الوغى ، وقد تجلى ثبات العزة هذا في مواقف كثيرة تدخل في إطار الأزمات والشدائد ؛ ومنها :

* عندما علم النبي (ﷺ) بمسير قريش ليمنعوا عيرهم استشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى «فاذْهبْ أَنْت وربُّك فقاتلا إنّا هاهُنا قاعدُون»[٢] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله (ﷺ) خيراً ودعا له به ... وقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف من رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ، فسُرَّ رسول الله (ﷺ) بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله - تعالى - قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم [٣]، إنها عزة الإسلام .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب (المغازي) باب (١٠) حديث رقم (٣٩٨٩) (الفتح ٧ / ٣٩٢).

(٢) سورة المائدة . من الآية رقم ٢٤ .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ١ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ بتصرف .

* وفي غزوة الأحزاب " لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ﷺ) إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله (ﷺ) أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟! والله ما لنا بهذا من حاجة . والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله (ﷺ) : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا "[1]، إنها عزة الإسلام .

* وفي أمر الحديبية لما وافق النبي (ﷺ) على الصلح جاء عمر بن الخطاب - ﷺ - إلى رسول الله (ﷺ) " فقال : يا رسول الله ، ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى . قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : ففيم نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا . فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى . قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع ولما

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٦٣ .

يحكم الله بيننا وبينهم فقال : يا ابن الخطاب ، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا ، قال : فنزل القرآن على رسول الله (ﷺ) بالفتح ، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه ، فقال : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال : نعم . فطابت نفسه ورجع "[١]. إنها عزة الإسلام.

* وفي مواجهة مانعي الزكاة والمرتدين بعد وفاة رسول الله (ﷺ) يقف خليفة المسلمين أبو بكر الصديق - ﷺ - موقفاً يدل دلالة قاطعة على عزة الإسلام ، حيث يعلنها " قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حي ؟!" [٢] ثم أصدر القرار الحاسم " والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها "[٣].

* وفي سلسلة مواجهة الأمة الإسلامية لقوة الروم الضاربة وجّه سيدنا عمر بن الخطاب - ﷺ - في فترة إمارته جيشاً إلى الروم ، فأسر الروم (عبد الله بن حذافة) فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا : إن هذا من أصحاب محمد ، فقال : هل لك أن تتنصّر وأعطيك نصف ملكي ؟ قال : لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين ، قال : إذاً أقتلك . قال: أنت وذاك . فأمر به فصُلب ، وقال للرماة : ارموه قريبا من بدنه ، وهو يعرض عليه ويأبى فأنزله ودعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت ، ودعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فأُلقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ، ثم بكى ، فقيل للملك : إنه بكى ، فظن أنه قد جزع ، فقال : ردوه ، ما أبكاك ؟ قال : هي نفس واحدة تُلقى الساعة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - في كتاب (الجهاد والسير) باب (صلح الحديبية) حديث رقم (١٧٨٥) (بشرح النووي ١٢ / ١٤١).

(٢) حكمة الدعوة وصفة الدعاة ، أبو الحسن الندوي صـ ٣٦ ، أبو بكر الصديق شخصيته وعصره . د/ الصلابي صـ ١٩٩

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب (الزكاة) باب (أخذ العناق في الصدقة) رقم (١٤٥٦) (الفتح ٣ / ٤١٠) .

فتذهب ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله ، فقال له الطاغية : هل لك أن تُقبّل رأسي وأُخلّي عنك ؟ فقال له عبد الله : وعن جميع الأسارى ؟ قال : نعم ، فقبل رأسه وقدم بالأسارى على عمر فأخبره خبره فقال عمر : حق على كل مسلم أن يُقبّل رأس ابن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقبّل رأسه "[١].

ورغم هذه السيرة العطرة والسلسلة المباركة من لآليء الاعتزاز بالإسلام – وما أكثرها – إلا أنه " من المسلمين فئات قد وقر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأعلون على كل حال ، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه ، وأن كل مقاومة عبث ، وإذا طُلب من هذه الفئات البذل لمعاونة قوم منهم يقاتلون دولة أجنبية تريد محوهم أو إذلالهم كان الجواب : أية فائدة من بذل أموالنا في هذا السبيل وتلك الدولة غالبة لا محالة ؟! ولو تأملوا لوجدوا أن الاستسلام لا يزيدهم إلا ويلاً "[٢].

إن هؤلاء قد ذهلوا عن قول الله – تعالى – : «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» [٣]، وغفلوا عن قوله – سبحانه – : «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [٤].

ولم يعملوا عقل التأمل والتدبر في قول الله – جل وعلا – : «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ»[٥].

---

(١) انظر : أسد الغابة لابن أثير ٣ / ١٤٢ ، ١٤٣ بتصرف نقلا عن علو الهمة صـ ٣٠٨.

(٢) انظر : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ شكيب أرسلان صـ ٧٧ . ٨١ بتصرف

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان رقم ١٣٩ ، ١٤٠

(٤) سورة آل عمران ، الآيات رقم ١٧٣ – ١٧٥

(٥) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٦

وما أكثر الأدلة التي تستنهض عزة الإسلام في نفوس أتباعه ، وتستحثهم على تحقيقها مهما بلغت التضحيات .

إن " الإسلام يدع المؤمن مستقرا في المكان الذي ينبت العز ويهب الحرية الكاملة ، ويجب على المؤمن أن يوفر هذه المعاني في بيئته ، فإن استحال عليه ذلك ليتحول عن دار الهوان ولينشد الكرامة في أي مكان . وفي ذلك يقول الله – عز وجل – : «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالمي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فيم كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِين فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فيها فَأُولئِك مأْواهُمْ جهنَّمُ وَساءَتْ مصِيراً»(١).

وقد عذر الله العجزة من الرجال الذين يفقدون القدرة على الانتقال ولا يجدون وسيلة للنجاة ، وضم إليهم النساء والأطفال فقال – سبحانه – : «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِين من الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولئِك عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً» (٢) .

وهذا التعبير يشعر بكراهية الإسلام لاحتمال الهوان ، ويستنهض الهمم حتى تبذل الجهد كله في التخلص منه .

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربه هو كبرياء إيمانه ، وكبرياء الإيمان غير كبرياء الطغيان ، إنها أنفة المؤمن أن يصغر لسلطان أو يتضع في مكان أو يكون ذنباً لإنسان "(٣).

ودور الدعاة إلى الله – تعالى – خصوصاً ، ودور المؤسسات التثقيفية عموماً في بث روح العزة الإسلامية في نفوس المسلمين كبير جدا ومن الأهمية بمكان ، فكم من كلمة أحيت قلوباً غُيِّبت وخضعت تحت ركام الذل سنوات وسنوات .

---

(١) سورة النساء ، الآية رقم/ ٩٧

(٢) سورة النساء ، الآيتان رقم / ٩٨، ٩٩

(٣) خلق المسلم ، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي صـ ١٨٢ ، ١٨٣

وكلنا أملٌ في أن تجد ثقافة الاعتزاز الإسلامي سبيلاً إلى بؤرة اهتمام القائمين على أمر المؤسسات التثقيفية في بلاد المسلمين لتكون خطوة فعّالة في طريق الكفاح لتحقيق النصر على الأعداء .

ثانياً : ثقافة الانتماء :

إن قيمة (الانتماء) للأمة الإسلامية تعني الترابط الوثيق بين الفرد وأمته " بحيث لا يمارس أمراً في حياته إلا من خلال نظرته إلى هذه الأمة الإسلامية كلها وتساؤله دائماً فيما يعود على هذه الأمة الإسلامية من نفع ويمنع عنها من ضر في ممارسته لأي أمر من الأمور قولاً أو فعلاً أو سلوكاً ... والأمة الإسلامية بحاجة مستمرة إلى شباب يحسنون الانتماء إليها ، والعمل على إعلاء شأنها "[1]، وقيمة (الانتماء) قيمة لا يستهان بها في تحقيق النصر على أعداء الأمة الإسلامية ، لأنه بدون الانتماء لا يكون هناك مجال للتضحية والبذل والفداء .

ولعلي لا أكون مجانباً للصواب إذا قررت أن الانتماء قيمة فطرية تنميها عوامل كثيرة ، أبرزها شعور المرء بآدميته وأهميته في إطار أمته ، شعوراً ناتجاً عن احتضان الأمة لأبنائها ورعايتها لخطوات حياتهم .

ومما يؤسف له أن كثيراً من شباب المسلمين اليوم ضعُفت في نفوسهم قيمة الانتماء لبلادهم وأمتهم ، وفي المقابل قويت رغبتهم في الهجرة إلى البلاد الأجنبية ولو كانت بلاداً معادية !! وذلك بفعل الثقافة الغربية المسيطرة عليهم والمستحوذة على طموحاتهم ، وبفعل شعورهم بتخلي الحكومات الإسلامية عن مساندتهم ، ومما لا شك فيه أن ضعف الانتماء – لدى طائفة الشباب على وجه الخصوص – يمثل خطورة كبرى على كيان الأمة ، حيث يجعلها كاليتيم في عالم لئيم ، ويجعلها نهباً ومطمعاً لكل طامع .

---

(١) انظر : تربية الناشئ المسلم . د/ علي عبد الحليم محمود ، صـ ٣٦٧ ، ٣٦٨ بتصرف .

وبناءً عليه فإني أُناشد القائمين على أمر المؤسسات الثقافية في بلاد المسلمين أن يعنوا بتعميق ثقافة الانتماء عنايةً نظريةً لها أدلتها ومظاهرها الواقعية ، حتى يكون ذلك أدعى إلى المصداقية .

كما أُناشد أفراد الأمة – وخاصة الشباب الذين يمثلون قوة الأمة – ألا يجعلوا انتماءهم لأمتهم مرهوناً برضاهم عن هذه الأمة مادياً ومعنوياً ، بل عليهم أن يصبغوه بصبغة إسلامية ليكون عاملاً فعالاً في نصرة الأمة وحماية البقاع التي يظللها حكم الإسلام .

وليكن الشعار الأساسي لثقافة الانتماء قول النبي (ﷺ) في فضل مكة ومدى حبه لها رغم عداوة أهلها : " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجت "[1].

ثالثاً : ثقافة الجدية والانضباط والتعامل مع الأزمات :

إن كثيراً من شباب الأمة الإسلامية الآن يعيشون حالة من الترهُّل وافتقاد التقييم الحقيقي للأشياء وضعف الاستعداد لمواجهة الأزمات ، وفي ميدان المعركة لا تولد رجولة مفاجئة .

ومن أبرز الأسباب التي أدت إلى ذلك قيام المؤسسات التثقيفية – وعلى رأسها وسائل الإعلام – بإبراز ما تحتويه ذاكرة التاريخ من الانتصار وحلاوتها وإغفال ما تحتويه من أيام الانكسار ومرارتها ، وهذا – من وجهة نظري – ضرره أكبر من نفعه ، ومثل ذلك كمن يتخيل الحياة وردية هنية من خلال قصص وكتابات ، فإذا ما اضطر إلى التعامل مع الواقع كانت الصدمة والعجز عن التفاعل مع أحداث الحياة .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عدي في كتاب (المناقب) باب (في فضل مكة) حديث رقم (٣٩٢٥) (٥/٦٧٩) وقال : حديث حسن غريب صحيح.

فالأمة بحاجة إلى أن تستذكر أحداث تاريخها مع الأزمات بشتى أنواعها وكافة أسبابها : الذاتية التقصيرية أو الخارجية العدوانية ، وذلك لأخذ العظة والعبرة والحذر من الوقوع في ظلمة الأزمات بالتزام الجدية والانضباط .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ترجمة الأمة الإسلامية – أفرادا وأسرا وجماعات – لثقافة الجدية والانضباط والتعامل مع الأزمات لا تحمل عليها السلطة – كما هو الشأن في سائر المجتمعات البشرية – وإنما يحمل عليها الإحساس بالمسئولية وتحمُّل التبعة ؛ ارتكازاً على إيمان بالله ورسوله ورغبة في الالتزام بمنهج الله – سبحانه – وحرص على التحرك في الحياة بمنهج الإسلام إحساناً وتجويداً ، كما قال – سبحانه – : «وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»(١).

ولا يخفى أن المؤسسة المسجدية في الأمة الإسلامية – وهي من أبرز وسائل التثقيف – لها دور رائد في هذا الميدان نظرياً وتطبيقياً " فالمسجد تدريب للمسلمين على الضبط والانضباط ، فإذا صاح المؤذن (الله أكبر) ترك المسلمون جميعاً كل ما هم فيه من عمل واتجهوا إلى المسجد ، إذ الدعوة موجهة من الله – سبحانه – وإجابتها إجابة له سبحانه ، الله أكبر من كل عمل ومن كل أمر ومن كل شيء ، وما ينبغي أن يصرف المسلمين عن إجابته شيء ، فأيُّ تدريب على الانضباط أكبر من هذا؟

إن الانضباط سمة واضحة في المسجد يلمسه كل متردد عليه في الأذان والإقامة واصطفاف المصلين خلف الإمام وتسوية الصفوف والنظر في موضع السجود والاستماع إلى ما يقرأ الإمام وعدم سبق الإمام بتكبير أو ركوع أو سجود أو تسليم وفي ترتيب صفوف المصلين وفي ختام الصلاة وفي دخول المسجد وفي الخروج منه وفي البقاء فيه وفي عدم رفع الصوت بداخله وفي عدم التشويش على

---

(١) سورة التوبة ، الآية رقم/ ١٠٥ .

المصلين برفع صوت المصلي وفي كثير من السنن والآداب التي يجب أن يلتزم بها من في المسجد ، إن ذلك يطبع رواد المسجد على الجدية والانضباط "[١]، وأمثال هؤلاء تكون لديهم القدرة على مواجهة الأزمات .

إن تزويد أبناء الأمة بثقافة الجدية والانضباط والتعامل مع الأزمات والحرص على ترجمتها في سلوكيات حياتهم وفق المنهج الإسلامي يُعَدُّ ضرورة لتحقيق النصر على الأعداء .

رابعاً : ثقافة التفوق والإجادة :

إن الأمة الإسلامية الآن بحاجة إلى معرفة موقعها على خريطة الأمم بموضوعية ونقد ذاتي بنَّاء للتقييم والتقويم ، يحتاج كل فرد من أفرادها أن يعلم أنه لا مجال للتكاسل الآن ، وليس هناك من الوقت ما يمكن تضييعه ، ولا من الجهد ما يحتمل تبديده في عالم يتسابق مع الزمن ، فإما أن نكون أو لا نكون .

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى إبداعات العقول الإسلامية ، تلك العقول التي يحتاج عملها الإبداعي إلى وضعها في بؤرة الاهتمام ؛ للاستفادة من ثمارها في ميدان السباق العلمي مع الآخرين ، ليكون للأمة الإسلامية اعتبارها بين الأمم [٢]، وكما هو معلوم أن الأمم المتقدمة تكنولوجياً تعيش مرهوبة الجانب توضع كلمتها موضع الاعتبار .

---

(١) انظر : تربية الناشئ المسلم ، د/ علي عبد الحليم محمود صـ ٤١٨ : ٩٤ بتصرف .

(٢) لا يخفى على أحد أن هجرة العقول العلمية الإسلامية إلى بلاد الغرب والتقاط القوى المعادية لهذه العقول بسبب عدم توافر الإمكانيات لها في بلاد المسلمين يمثل كارثة تجني الأمة ثمارها المرة في معاركها مع أعدائها. وللوقوف على ذلك تفصيلاً يراجع كتاب : كارثة في العالم الإسلامي (مأساة النزيف البشري وهجرة العقول) د/ محمد عبد العليم مرسي ، دار الصحوة . القاهرة.

" ولا ينفعنا هنا ما زعمه بعضهم يوما : أننا يمكننا بأموالنا – التي هيأها لنا النفط وغيره – أن نشتري التكنولوجيا من أي مكان في العالم ، ونستخدمها كما نريد ، ونوظفها في إنهاض وطننا ، وتطوير أوضاعنا ، وتحقيق طموحاتنا التنموية .

فالواقع أن التكنولوجيا التي تُشترى لا تطور المجتمع ، ولا تنقله إلى العصر ؛ بل تساعده على الاستهلاك لا الإنتاج ، والتقليد لا الإبداع ، وتغيير المظهر لا الجوهر ، والمبنى لا المعنى .

والذين يبيعوننا التكنولوجيا ليسوا بلهاء ، بحيث يبيعوننا ما يجعلنا نستغني عنهم ، إنما يعطوننا البعض لا الكل ، والفرع لا الأصل ، حتى نظل مربوطين بهم ، مشدودين إليهم ، مفتقرين إلى عونهم .

إن التكنولوجيا المطلوبة هي التي تُستَنْبَت في أرضنا ، وتنمو بنمونا ، وتتفاعل مع واقعنا ، وتمدها عقول أبنائها ، وتحملها سواعدهم ، ونحن لها أهل إذا استبانت الوجهة واتضح السبيل ، والدين أعظم ما يعيننا على ذلك "[١].

ومن نافلة القول أن أذكر أنه ليس هناك ما يمنع أن نستفيد من تقدم الغرب في العلوم ، شريطة ألا يكون ذلك سبيلاً إلى تبعية العقول وترك الإبداع الإسلامي .

والدعوة إلى التفوق والإجادة دعوة إسلامية ، يقول الحق – سبحانه – : «وأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [٢]، ويقول – جل وعلا – : «إنّا لا نُضيعُ أَجْر منْ أَحْسن عملاً»[٣].

" إن الإحسان في كل عمل بالنسبة للمسلم فرضٌ فرضه الله عليه ، لا يملك أن يخالفه وإلا وقع في الإثم والمعصية .

---

(١) انظر : الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د/ يوسف القرضاوي صـ ١٠٥ . ١٠٦ بتصرف .

(٢) سورة البقرة ، من الآية رقم / ١٩٥ .

(٣) سورة الكهف ، من الآية رقم ٣٠ .

وإن التفوق الحضاري الذي حققه المسلون في الماضي ما استطاعوا أن يحققوه إلا بالإحسان والتجويد في كل مجال من مجالات الحياة .

وإن التراجع الحضاري الذي يعيشه المسلمون اليوم ما أدى إليه إلا التخلي عن الإحسان والإجادة لما يمارسه المسلمون اليوم من أقوال وأعمال " [١].

وبناءً عليه فإن اهتمام المؤسسات التثقيفية بثقافة الإتقان والتفوق والإجادة يعد خطوة فعالة في طريق النصر على الأعداء .

(١) انظر : تربية الناشئ المسلم ، د/ علي عبد الحليم محمود صـ ١٠١ ، ١٠٢ بتصرف .

خامساً : ثقافة الصراع بين الحق والباطل والتمييز بين الطيب والخبيث :

من الأهمية بمكان أن يقف المسلمون على حقيقة الصراع بين الحق والباطل في كل زمان ومكان ؛ ليتيقنوا من استمراريته إلى قيام الساعة؛ ليعدوا العدة المناسبة لمواجهة الباطل وأهله ، وليتخلصوا من الاستسلام والاطمئنان لعدوهم وعهوده ومواثيقه الزائفة التي تثبت ثقافة الصراع زيفها وخلوها من أي مصداقية .

وثقافة الصراع بين الحق والباطل تستمد بالدرجة الأولى من آيات القرآن الكريم ، وما أكثرها في هذا المضمار ، ومنها :

قوله – تعالى – : «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ»(١).

وقوله – تعالى – : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»(٢).

وقوله – جل جلاله – : «كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ»(٣).

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم/ ١٢٠ .

(٢) سورة الأنفال ، الآيتان رقم/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) سورة التوبة ، الآيات رقم/ ٧ – ١٠ .

وقوله – تباركت أسماؤه – : «ولا تركَنُوا إلى الّذين ظلمُوا فتمسّكُمُ النّارُ وما لكُمْ منْ دُونِ اللّه منْ أوْلِياء ثُمّ لا تُنْصرُون» (١).

وكذلك تستمد ثقافة الصراع بين الحق والباطل من كتب الأعداء التي تفوح منها رائحة نواياهم الخبيثة ، وتؤكدها الوقائع والأحداث المتوالية ، ولكل مسلم أن يقرأ ما ورد من مخططات إجرامية في بروتوكولات حكماء صهيون ؛ ليدرك أن الأمر جد خطير .

ومن الأهمية بمكان – أيضاً – أن يُزود المسلمون بمعرفة التيارات المعادية للإسلام المعوقة لهم عن الوصول إلى تحقيق أهدافهم ، وما تمارسه هذه التيارات من أعمال ظاهرة أو خفية تكيد بها للإسلام والمسلمين ، كما ينبغي أن يقف المسلمون على تدرج الصراع والحرب الموجهة إليهم من الميدان العسكري إلى الميدان الفكري ، ومدى خطورة الغزو الفكري على الأمة الإسلامية من خلال توضيح آثاره المدمرة ، والمنهج الأمثل للمواجهة والتصدي .

فالمسلمون الآن بحاجة ماسة إلى ثقافة فاصلة يتم من خلالها بيان الحق من الباطل والخير من الشر والطيب من الخبيث ، وكفى الأمة ما أصابها من ثقافة التعميم والتعتيم ومحاولة تنحية الدين عن ميادين الحياة ، حيث تداخلتْ الأمور وأصبح المسلم لا يعرف العدو من الصديق ، والأدهى والأمر أن يُحْتضنِ العدو ويُقْصَى الصديق بسبب ثقافة خاطئة ملكت قياده .

إن تثقيف المسلمين بتلك الثقافة الفاصلة عامل فاعل في طريق الكفاح لتحقيق النصر على الأعداء .

---

(١) سورة هود ، الآية رقم ١١٣ .

سادساً : ثقافة أدب الاختلاف :

إن الاختلاف الفكري طبيعة إنسانية قررها القرآن الكريم ، حيث يقول الحق – سبحانه – : «ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً ولا يزالُون مُخْتلفين * إلَّا مَنْ رحِم ربُّك ولِذلك خلقَهُمْ » [١].

وبناءً عليه فإنه " لا يمكن أن يكون المستوى الفكري أو الإدراكي لأفراد الأمة واحدا ؛ لأن ذلك لا يمكن أن يكون في مجموعة صغيرة من الناس ، فكيف يتحقق في أمة بمجموعها ؟ "[٢].

ونتيجة لعدم إدراك تلك الحقيقة كما ينبغي أصبح الاختلاف الفكري يمثل ظاهرة خطيرة في ظل التحلل من الضوابط الشرعية والعلمية ، وإطلاق العنان للمزاج الشخصي ، وفي ظل غياب ثقافة أدب الاختلاف .

وبدون ثقافة أدب الاختلاف تتنافر النفوس ولا تتآلف ، وفي ظل التنافر تضيع الوحدة ولا يكون النصر .

ولذلك فأبناء الأمة الإسلامية بحاجة إلى ثقافة تبين لهم مساحة الاتفاق التي لا ينبغي الاختلاف حولها من أمور مقررة بنصوص شرعية قاطعة وصريحة وواضحة ، ثم تترك مساحة الاجتهاد والتأويل لأصحاب الملكات والمؤهلات الاجتهادية والتأويلية لتتنوع الآراء في جو علمي مظلل بالاحترام لعقول الآخرين دون أن يصحب ذلك بأي نوع من أنواع الشحن النفسي السالب الذي حذّر الإسلام منه ؛ نظرا لنتائجه السيئة في حياة المسلمين .

---

(١) سورة هود . الآيتان رقم / ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) انظر : قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، د/ محمد السيد الوكيل صـ ٢٠ ، ٢١ بتصرف .

سابعاً : ثقافة القدرة على تحديد الهدف :

إن العشوائية في الحياة والتخبط في جنباتها وتضييع العمر دون تحقيق النتائج المرجوة سببه الأساسي أن أبناء الأمة ليست لديهم القدرة على تحديد الهدف ومن ثم اتخاذ السبيل المناسب للوصول إليه .

والأمة في هذه الفترة العصيبة تحتاج إلى أن تحدد هدفها ، أهو الرضا بالواقع المر والتعايش المهين أم المقاومة والسعي إلى النصر مهما كانت التضحيات ؟

بل إن هذا البحث وأمثاله لا يوضع في الاعتبار إلا إذا حدد الهدف وكانت الجدية في سبيل تحقيقه .

فإذا كانت غايتنا النصر فللنصر تكاليفه وأعباؤه .

كانت تلك أبرز الثقافات التي تحتاج إلى أن تُعَمَّق في الميدان الثقافي للأمة الإسلامية لتكون عاملاً فاعلاً في طريق الكفاح لتحقيق النصر على أعداء الأمة .

المبحث الرابع

العوامل الاجتماعية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

إن اللبنات التي يتكون منها بناء الأمة وما يقوم بين هذه اللبنات من علاقات ميدان يحتاج إلى أن يوضع في بؤرة الاهتمام .

وفي طريق الكفاح الذي تسلكه الأمة لتحقيق النصر يحتاج البنيان الاجتماعي للأمة إلى ما يلي :

أولاً : الاستقرار الاجتماعي في بناء الأمة :

إن الاستقرار الاجتماعي في بناء الأمة عامل هام لتحقيق النصر ، حيث إن الاضطراب الاجتماعي يؤدي إلى الإخفاق لسببين :

الأول : غياب القوة في ظل الاضطراب ، فالإنسان عندما تضطرب أعضاؤه بخلل نفسي أو مادي تتسرب قوته ، كذلك الأمة عندما تضطرب لبناتها تضيع قوتها .

الثاني : انشغال قوات الأمة بتحقيق الضبط الداخلي عن مواجهة العدو الخارجي ،

ويتحقق الاستقرار الاجتماعي بما يلي :

١- بذل كافة الجهود للارتقاء بالمؤسسة الأسرية ، لتقوم بدورها الفاعل في تحقيق الاستقرار الاجتماعي .

٢- أن يشعر أفراد الأمة بآدميتهم ويحصلوا على حقوقهم الإنسانية في إطار من الكرامة التي منحها الله لبني آدم ؛ حتى يقوموا بأداء واجباتهم . قال – سبحانه – : «ولقدْ كرّمْنا بنِي آدم »[١].

٣- أن يُضبط البناء الاجتماعي بضوابط من العدالة والمساواة والحرية المنضبطة . قال – سبحانه – : «وإذا حكمْتُمْ بيْن النّاس أنْ تحْكُموا بالْعدْلِ»[١]، وقال

---

(١) سورة الإسراء ، من الآية رقم/ ٧٠ .

– سبحانه – : «يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خلقْناكُمْ منْ ذكرٍ وأُنْثى وجعلْناكُمْ شُعُوباً وقبائل لتعارفُوا إِنَّ أَكْرمكُمْ عنْد اللَّه أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّه عليمٌ خبيرٌ»(٢)، وقال – جل وعلا – : «وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحاسبْكُمْ به اللَّهُ فيَغْفرُ لمنْ يشاءُ ويُعذِّبُ منْ يشاءُ واللَّهُ على كُلِّ شيْءٍ قَديرٌ»(٣).

٤– أن يُظلّل ضعفاء الأمة بمظلة التكافل الاجتماعي الذي يوفر لهم حياة كريمة تنأى بهم عن الانخراط في دوائر الإجرام وإحداث الاضطرابات الداخلية .

قال – سبحانه – : «وتَعاونُوا على الْبرِّ والتَّقْوَى ولا تعاونُوا على الْأثْم والْعُدْوان»(٤).

ثانياً : وحدة صفوف الأمة على أساس إسلامي :

إن أعداء الأمة الإسلامية يبذلون جهوداً ضخمة لتفريق صفوف المسلمين ، تبعا للمبدأ الخبيث (فرِّق تسُدْ) ، وللأسف الشديد وقعت الأمة الإسلامية في براثن التفرق ، وكلنا نشاهد واقع الأمة الأليم الذي يملؤه الشقاق والتفرق بين صفوف الأمة ولبناتها ، وهو ما حذرنا منه الإسلام .

قال – سبحانه – : «ولا تكُونُوا كالَّذينَ تفرَّقُوا واخْتلفُوا منْ بعْد ما جاءهُمُ الْبيِّناتُ وأُولئك لهُمْ عذابٌ عظيمٌ»(٥).

وقال – سبحانه – : «ولا تنازعُوا فتفْشلُوا وتَذْهبَ ريحُكُمْ»(٦).

فالوحدة لا الفرقة ، والتساند لا التعاند ، والوفاق لا الشقاق ، عامل هام لتحقيق النصر على الأعداء ، قال – سبحانه – : «واعْتَصمُوا بحبْلِ اللَّه جميعاً ولا

---

(١) سورة النساء ، من الآية رقم/ ٥٨ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم/ ١٣ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية رقم/ ٢٨٤ .

(٤) سورة المائدة ، من الآية رقم/ ٢ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية رقم/ ١٠٥

(٦) سورة الأنفال ، من الآية رقم/ ٤٦ .

تفرَّقُوا»[١] وقال -سبحانه- : «إنَّ اللَّه يُحبُّ الَّذين يُقاتلُون في سبيله صفًا كأنَّهُمْ بُنْيانٌ مرْصُوصٌ» [٢]

ثالثاً : تفاعل الأمة مع الميادين العسكرية بالإمداد البشري :

إن الأمة قاعدة عريضة تمثل المصدر الأساسي لإمداد الميادين العسكرية بما تحتاج إليه من عَدَدٍ وعُدَّة ، والدعوة الإسلامية بدورها الرائد في حياة الأمة الإسلامية بمثابة المحرِّك الفعَّال الذي يوقظ الهمم ويستثير عقيدة الجهاد في النفوس ، وقد عُلِم بالتجارب المتكررة أن المنابر لها موقع اعتباريٌ هام في أوقات الأزمات والشدائد ، حيث تهب الأمة من رقودها وتندفع مؤازرة الميادين العسكرية لا تدخر وسعا ولا جهداً ولا مالاً ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، حيث إن أوقات الشدة تجعل الفطرة الإنسانية تعود إلى نقائها واعتصامها بمنهج دينها ، فتجد الدعوة الإسلامية حينئذ السبيل مذللاً إلى القلوب لتقوم بدورها في إيقاظ الهمم واستثارة عقيدة الجهاد .

وبشيء من التأمل في تفاعل الأمة الإسلامية مع الميادين العسكرية عبر التاريخ يدرك الإنسان أن هناك صوراً مشرقة ونماذج رائعة لهذا التفاعل كانت ثمرة طيبة لتوجيهات الدعوة الإسلامية في هذا المجال ، تلك التوجيهات التي يبلغها الدعاة إلى كل قطاعات الأمة فتثمر خيراً وبركةً.

ومن صور هذا التفاعل (التفاعل بالإمداد البشري) و (التفاعل بالإمداد المادي) .

أما التفاعل بالإمداد المادي فموضع الحديث عنه في (العوامل الاقتصادية) ، وأما التفاعل بالإمداد البشري فهو ما أتحدث عنه هنا ضمن العوامل الاجتماعية فأقول:

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية رقم/ ١٠٣ .

(٢) سورة الصف ، الآية رقم/ ٤.

إن القوة الأساسية في الميادين العسكرية هي القوة البشرية ، وقد كانت الغزوات في عصر رسول الله (ﷺ) ليس فيها اكتتاب (أي لا تدون أسماء الجند الذين سيشاركون في المعركة) وإنما كان الرسول (ﷺ) يبعث المنادي (حي على الجهاد ، أن يا خيل الله اركبي) فتتهافت الأفواج المسلمة من كل فجٍّ عميق ، هدفهم إحدى الحسنيين : إما النصر وإما الشهادة .

لقد كان المسلمون – رجالاً ونساءً كبارا وصغارا ، أقوياء وضعفاء ، أصحاء ومرضى – يتدفقون كالسيل الجارف ؛ رغبة في نيل شرف الجهاد في سبيل الله ، ومن أبرز الأدلة على هذا قوله – سبحانه – : «لَيْس على الضُّعفاءِ ولا على الْمرْضى ولا على الَّذينَ لا يجدُون ما يُنْفقُون حرجٌ إذا نصحُوا للَّه ورسُوله ما على الْمُحْسنين منْ سبيلٍ واللَّهُ غفُورٌ رحيمٌ * ولا على الَّذين إذا ما أَتوْك لتحْملهُمْ قُلْت لا أَجدُ ما أَحْملُكُمْ عليْه تولَّوْا وأَعْيُنُهُمْ تفيضُ منِ الدَّمْعِ حزنا أَلَّا يجدُوا ما يُنْفقُون»[١].

إنهم حريصون على الجهاد رغم أن الله رفع عنهم الحرج لأعذارهم ، ولصدق نياتهم أعطاهم الله الأجر .

عن أنس بن مالك – ﷺ – " أن رسول الله (ﷺ) رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر "[٢].

وكتب السيرة والتاريخ زاخرة بالحديث عن الإمداد البشري الرائع الذي تفاعلت به الأمة مع الميادين العسكرية .

وليس التفاعل بالإمداد البشري قاصراً على الجهاد بالنفس فقط ، بل إنه يمتد ويتسع ليشمل التبرع بالدماء والخدمة في المستشفيات وميادين القتال لمعالجة الجرحى وتقديم العون .

---

(١) سورة التوبة الآيتان رقم /٩١ ، ٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (المغازي) باب (٨٢) حديث رقم (٤٤٢٣) (الفتح ٨ / ١٥٩) .

ولم يعف الإسلام أحدا من المشاركة في الميادين العسكرية إلا من دخل في دائرة الضعف وتشمل المرضى وكبار السن والعجزة ...إلخ، و" لم يجعل الإسلام من أسباب الإعفاء من الجندية حمل الشهادات العلمية ولا الانتساب إلى الجامعات ولا حفظ القرآن الكريم ولا دفع البدل النقدي ولا البنوة لحاكم كبير مما عهدنا في عصور الانحلال ، بل كان العمل في عصر النبي (ﷺ) والعصور التالية له على عكس ذلك."[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تفاعل الأمة مع الميادين العسكرية بالإمداد البشري يحقق للأمة أمرين :

الأول : العزة والسيادة ، وما ترك قوم الجهاد إلا وذُلوا.

الثاني : تخفيض الأعداد البشرية ، فلا تكون هناك حاجة إلى الدعوات التي تتصايح في هذه الآونة مطالبة بتحديد النسل خشية حدوث التضخم السكاني ، بل سيكون الأمر على العكس من ذلك ؛ لأن الأمة ستكون بحاجة إلى الزيادة البشرية .

---

(١) الرسول القائد . لواء / محمود شيت خطاب ، صـ ٤٩ .

المبحث الخامس

العوامل الاقتصادية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

لا شك أن الاقتصاد عصب الحياة ، وأن من لا يأكل لقمته بفأسه لا تكون كلمته من رأسه ، وأنه لا كرامة لشعب يأكل من وراء حدوده، وقد حبا الله – تعالى – العالم الإسلامي كثيراً من الثروات المتنوعة ، منها الثروات المادية : الظاهرة والباطنة (أرضية ومائية) ، ومنها الثروات المعنوية (دينية وعقلية) ، نعم ، خصَّ الله – عز وجل – هذه الأمة «فجعلها قلب العالم من كل ناحية »:

– من ناحية المكان ، هي مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ، وهو ما يجعل لها مركزاً استراتيجياً خطيراً لا يتوفر لأية أمة أخرى .

– من ناحية الثروات ، فلقد جمع الله فيها أنواع الثروات الأرضية بما يحقق اكتفاءً ذاتياً ، وبما يحقق حاجة العالم كله إليها ، وليس الأمر قاصراً على البترول ، وتكفي هذه الإشارة .

– من ناحية الخامة البشرية ، فإن الدراسة المنصفة للطبيعة البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة أخرى ، وبذلك تتحقق الوسطية لهذه الأمة على اختلاف وجوهها "[١].

" والعالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام ، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل ، وينتصر عليها بإيمانه وقوة رسالته ونصر من الله ، ويحول العالم من الشر إلى الخير ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام "[٢].

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د/ علي محمد جريشة ، محمد شريف الزبيق . صـ ٧ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، صـ ٤١٧ .

ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي يدفع أعداء الأمة الإسلامية لبذل جهود ضخمة (عسكرية وفكرية) لتجريد الأمة من ثرواتها وسلب خيراتها ؛ لتظل الأمة بحاجة إلى أعدائها ، متقوقعة في إطار من الخضوع والتبعية .

وبناءً عليه فإن الأمة الإسلامية – وهي في طريق الكفاح لتحقيق النصر على الأعداء – تحتاج إلى أن تحقق في الميدان الاقتصادي ما يلي :

أولاً : تحقيق الاكتفاء الذاتي :

إن تحقيق الأمة الإسلامية للاكتفاء الذاتي في كل الميادين – وبخاصة في الميدان الاقتصادي – يمثل ضرورة من ضروريات تحقيق النصر ؛ إذ " لا يمكن للأمة الإسلامية أن تحارب عدوها – إذا احتاجت إلى ذلك ودعت إليه الظروف – وهي مدينة له في ماله ، عالة عليه في كثير من شئون الحياة .

إن عاراً على الأمة الاسلامية والعربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها ، وأن يجري ماء الحياة في عروقها وشرايينها إلى أجسام غيرها ، وأن يدرب جيوشها وكلاء الغرب وضباطه ، ويدير بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلا بد أن تقوم الأمة الإسلامية بحاجاتها وأن تحقق الاكتفاء الذاتي لنفسها "[١].

وتحقيق الاكتفاء الذاتي يحتاج إلى الجدية وبذل الجهد في ميدان التنمية الاقتصادية .

" ولعل أكبر ضمان لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها هو ارتفاع الإسلام بالتنمية إلى مرتبة العبادة ، إذ لم يكتف الإسلام بالحث على العمل والإنتاج بقوله – تعالى – : «وقُلِ اعْمَلُوا فسيرى اللَّهُ عملكُمْ ورسُولُهُ والْمُؤْمنُون وستُردُّون إلى عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادة فَيُنَبِّئُكُمْ بما كُنْتُمْ تعْملُون»[٢]، بل اعتبر العمل في ذاته عبادة ، وسوّى بين المجاهدين في سبيل الله وبين الساعين في سبيل الرزق والنشاط الاقتصادي

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ٤١٦ بتصرف .

(٢) سورة التوبة ، الاية رقم/ ١٠٥ .

بقوله – تعالى – : «وآخرُون يضْرِبُون فِي الْأَرْضِ يبْتغُون منْ فضْلِ اللّـه وآخـرُون يُقاتلُون فِي سبِيلِ اللّه»[١].

والتنمية الاقتصادية تتطلب تعبئة جميع الجهود الرسمية والشعبية لنسج خطط التنمية والعمل على تطبيقها في أرض الواقع "[٢].

ولما أهمل المسلمون أوامر الإسلام بعمـارة الأرض والتنميـة الاقتصـادية سُحبت القيادة من أيديهم وسادهم من كانوا له سادة .

ثانياً : ترشيد الاستهلاك :

إن ترشيد الاستهلاك وتوجيه الفائض الاقتصادي لأغـراض التنميـة تحسُّـباً للأيام عامل من عوامل النصر على الأعداء ، خاصة وأن أعـداء الأمـة يسـتخدمون سلاح التجويع وفرض الحصار لإذلال الأمة وإجبارها على الاستسلام .

ولنا أن ننظر بتدبر في القرآن الكريم لنـدرك أن ترشـيد الاسـتهلاك دعـوة إسلامية :

يقول – سبحانه – في بيان الخطة الاقتصادية التي رسمها سـيدنا يوسـف – عليه السلام – وما فيها من ترشيد للاستهلاك وإعـداد لمواجهـة الأزمـات : «قـالَ تزْرعُون سبْعَ سنِين دأبا فما حصدْتمْ فذرُوهُ فِي سُنْبُلِه إِلَّا قلِيلاً ممَّا تأْكُلُون * ثُمَّ يـأْتِي منْ بعْدِ ذلِك سبْعٌ شدادٌ يأْكُلْن ما قدَّمْتمْ لهُنَّ إِلَّا قلِيلاً ممَّا تُحْصنُون * ثُمَّ يأْتِي منْ بعْـد ذلِك عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وفِيهِ يعْصرُون»[٣].

ويقول – جل وعلا – في وصف عباد الرحمن : «وَالَّذين إذا أَنْفقُوا لمْ يُسْرفُوا ولمْ يقْتُرُوا وكَانَ بيْن ذلك قوَاماً»[٤].

---

(١) سورة المزمل ، من الآية رقم ٢٠

(٢) انظر : المذهب الاقتصادي في الإسلام ، د/ محمـد شـوقي الفنجـري صـ ١١٩ – ١٢١ بتصرف.

(٣) سورة يوسف ، الآيات رقم / ٤٧ – ٤٩ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية رقم ٦٧ .

ويقول – تبارك وتعالى – : «إنّ الْمُبذِّرين كانُوا إخْوان الشّياطين»[١].

فالإسلام يحارب الترف ، ويقيم حياة اقتصادية متوازنة ، فلا إسراف ولا تقتير ؛ لأن " الترف يؤدي إلى ضرر اقتصادي هام ؛ إنه إذا شاع أدى إلى زيادة الاستهلاك على الإنتاج ، وأدى إلى التضخم وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن الاقتصادي وحدوث الأزمات الاقتصادية "[٢]، ومن ثم الأزمات السياسية ؛ إذ أنه يؤدي إلى حاجة الأمة لغيرها .

«فترشيد الاستهلاك والاكتفاء بما عبر عنه فقهاء الشريعة باصطلاح (حد الكفاية) أي المستوى اللائق للمعيشة ، وبالتالي توجيه الفضل أو الفائض الاقتصادي إلى التنمية هو في الإسلام موقف ديني وسلوك اجتماعي .

وهنا تبدو لنا أهمية القدوة من جانب القادة والمسئولين من أجل إعمال هذا المبدأ الاقتصادي والالتزام به تلقائياً ، وهو الموقف الذي عبر عنه الخليفة عمر بن الخطاب – ﷺ – حين حرم نفسه عام المجاعة أن يأكل لحماً .

ولا شك أن موقف الفئات الغنية من رفض ضبط الاستهلاك لا يعتبر موقفاً لا إسلامياً فحسب ، وإنما يتسم أيضاً بدرجة كبيرة من قصر النظر يكاد يبلغ حد العمى الاجتماعي ، وهم في الواقع كما ورد في القرآن الكريم يلقون بأيديهم إلى المفسدة والتهلكة الحتمية .

هذا وإن ضبط الاستهلاك يجب أن يكون عاماً ، فلا يقتصر على الأفراد ، بل يتناول الحكومات ، وإنه مما يرثى له حقاً أن تتورط حكومات المجتمعات النامية – خاصة الفقيرة – فيما يسمى بمشروعات الهيبة أو مركبات النقص ، وذلك كإقامة قصور فخمة تتجاوز احتياجاتها وكتشييد مطارات حديثة تفوق طاقاتها ومعداتها مقتضيات حركة النقل فيها .

---

(١) سورة الإسراء ، من الآية رقم/ ٢٧ .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي صـ ٢٢٩ .

كذلك فإنه مما يجب التنبيه إليه أن ترشيد الاستهلاك يرتبط ارتباطاً وثيقا بترشيد الإنتاج بمعنى تحسينه ، فكلما ساء الإنتاج تلف بسرعة فزاد الاستهلاك بدون مبرر وكان واقع الأمر جهداً ضائعاً ومالا فاقدا "[١].

وبناءً عليه فترشيد الاستهلاك (الاقتصاد الاستهلاكي) وترشيد الإنتاج (تحسينه) من أبرز عوامل النصر على الأعداء ؛ إذ أن في ذلك وقاية للأمة من ذل الحاجة إلى أعدائها .

ثالثاً : تفاعل الأمة مع الميادين العسكرية مادياً :

إن الجهاد بالمال له أهمية كبرى " فالجهاد ضد أعداء الإسلام ليس محصوراً بالخروج للغزو، بل ولا يكفي منه ذلك وحده ، فحيثما توقف أمر الجهاد بالقتال والسلاح على نفقات ومال يجب على المسلمين كلهم أن يقدموا من ذلك ما يقع موقعاً من الكفاية ، بشرط أن يكون ذلك بنسبة ما يتفاوتون به من كفاية وغنى. ولقد قرر الفقهاء أن الدولة إذا ما اضطرت إلى النفقات للجهاد كان لها أن تفرض على الناس حاجتها ، غير أنهم اتفقوا على أن ذلك مشروط بأن لا يكون في أموال الدولة ما يوضع في نفقات كمالية أو غير مشروعة ، إذ أن أموال الناس ليست أولى من أموال الدولة بأن تصرف إلى حاجات الجند والقتال "[٢].

وما أكثر التوجيهات الإسلامية التي تحث الأمة على التفاعل مع الميادين العسكرية بدنياً ومادياً أو ماديا فقط في حالة العجز عن المشاركة البدنية ، إسهاما في تجهيز الجيش أو رعايةَ لأسر المقاتلين :

قال – تعالى – : «انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»[٣].

---

(١) انظر : المذهب الاقتصادي في الإسلام ، د / الفنجري صـ ١٢٨ ، ١٢٩ بتصرف .

(٢) انظر : فقه السيرة ، د/ البوطي ، صـ ٣٠١ بتصرف .

(٣) سورة التوبة ، الآية رقم ٤١ .

وقال – جل شأنه – : «إِنَّ اللَّه اشْتَرى من الْمُؤْمنين أَنْفُسهُمْ وأَمْوالهُمْ بِأَنَّ لهُمْ الْجنَّة»[١].

وقال – سبحانه – : «يَا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارة تُنْجيكُمْ منْ عذاب أَليم * تُؤْمنُونَ بِاللَّه ورَسُوله وتُجاهدُون في سبيل اللَّه بِأَمْوالكُمْ وأَنْفُسكُمْ ذلكُمْ خيْرٌ لكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تعْلمُون»[٢].

وعن زيد بن خالد – ﷺ – أن رسول الله (ﷺ) قال : " من جهّز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا "[٣].

واستجابة لهذه التوجيهات الإسلامية تفاعلت الأمة مع الميادين العسكرية تفاعلاً مادياً منقطع النظير ، فقد جاد المسلمون بأموالهم لنصرة دينهم ، وصفحات التاريخ الإسلامي تتلألأ بإنفاق أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً ووفقنا للاقتداء بهم .

---

(١) سورة التوبة ، من الآية رقم ١١١/ .

(٢) سورة الصف ، الآيتان رقم/١٠ ، ١١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير) حديث رقم (٢٨٤٣) (الفتح ٦ / ٦١) .

المبحث السادس

العوامل الأخلاقية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

كثير من الألسنة تردد قول شوقي :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وواقع التاريخ قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الانحلال الأخلاقي مضيعة الأمم ، أمةٌ بلا أخلاق محكومٌ عليها بالانهيار والزوال ، وإن تباهت وتاهت بمظاهر القوة المادية فحال لا يدوم .

وهذا يعني أن الأخلاق تمثل سياجاً متيناً – يحمي تماسك الأمة وقوتها ، ويحفظ لها عزها وكرامتها ، وما أجمل أن يكون هذا السياج الأخلاقي بجانبيه (التخلي عن كل خُلُق مرذول والتحلي بكل خُلُق فاضل) منبثقاً من مشكاة الإسلام .

وقد تناول الإسلام الجانب الأخلاقي تناولاً تفصيلياً في مجالي (التخلي والتحلي) ، وما أكثر الكتب التي تكفلت بالبيان .

وأركز الحديث هنا على الأخلاق الشديدة الصلة بميدان الأزمات والمواجهة مع العدو ، ومن هذه الأخلاق ما يلي :

أولاً : الإيجابية :

الإيجابية نقيض السلبية ، وفي واقع المسلمين اليوم نرى سلبية مشينة في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بكلمة الحق ومواجهة الباطل وتحمّل التبعات ، والمؤسسات التربوية والتثقيفية في بلاد المسلمين (الأسرة والإعلام والتعليم وأجهزة الدعوة) تتحمل مسئولية وجود هذه الظاهرة البغيضة وتفشيها بين أفراد الأمة ، وإذا كانت ظاهرة السلبية تهدد كيان الأمة في وقت السلم بالركود بل التراجع إلى الوراء ، فإنها تهدد الأمة في وقت الحرب بالهزيمة والانكسار وربما الزوال .

ولذلك حارب الإسلام تلك الظاهرة ، وحث الأمة على الإيجابية البنّاءة التي لا تقف عند حد تلبية النداء ، بل ترتقي إلى المبادرة التلقائية إلى ميدان الخير والحق والمعروف أيًّا كانت التبعات والعواقب ، ومن كان هذا دأبه وقت السلم كان ركيزة انتصار أمته إذا ما طمع الطامعون واعتدى المعتدون .

ولنا أن ننظر بعين الاعتبار إلى تلك الصورة الرائعة التي ذكرها القرآن من صور الإيجابية البنّاءة ، يقول الحق – سبحانه – : «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ»(١).

ولنا كذلك أن نستلهم الإيجابية من قول النبي (ﷺ) : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم يؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا "(٢).

ثانياً : الشجاعة :

خُلُق الشجاعة شديد الصلة بخُلُق الإيجابية؛ إذ أن الشجاعة تمثل وقود الإيجابية ، فمن كان جباناً كيف يكون إيجابيا مقداما ؟!

---

(١) سورة يس الآيات رقم/ ٢٠ – ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – في كتاب (الشركة) باب (هل يقرع في القسمة؟ والاستفهام فيه) حديث رقم (٢٤٩٣) (الفتح ٥ / ١٦٦ ، ١٦٧) .

وإذا كانت ساحات الوغى بحاجة إلى الشجعان فلنعلم أن الشجاعة لا تولد في أرض المعركة ، بل يُربّى عليها الإنسان ، وتُختبر شجاعته في كل ميدان .

ومن أراد أن يقتدي فقدوته رسول الله (ﷺ) فقد كان شجاعا مقداما ، وما خاض معركة وحمي وطيسها وتلهب لظاها حتى كان أقرب المسلمين إلى العدو ، وكان الصحابة الكرام – رغم شجاعتهم وبسالتهم – يتقون برسول الله (ﷺ) .

وكان (ﷺ) أسبق الناس إلى موضع الخطر ، فعن أنس – رضي الله عنه – قال : " كان النبي (ﷺ) أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة فكان النبي (ﷺ) سبقهم على فرس ، وقال : وجدناه بحراً "(١).

وكان (ﷺ) يستعيذ بالله – تعالى – من الجبن ، فعن أنس – رضي الله عنه – قال : " كان النبي (ﷺ) يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر "(٢).

وما أقبح الجبن الذي تضيع في ظله الحقوق ويطغي الباطل وأهله ويستشري الظلم ، ومن عرف قَدْرَ ربه وعاش في كنفه واستمسك بحبله ولاذ بجنابه فإنه لا يخشى أحدا إلا الله ولا يخاف في الله لومة لائم.

وقد توالت التوجيهات الإسلامية حاثّةً على الشجاعة والإقْدام ومُحذِّرة من الجبن والخذلان .

قال – سبحانه – : «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جمعُوا لكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادهُمْ إِيماناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْم الْوكيلُ * فانْقلبُوا بِنِعْمَة مِن اللَّه وفضْل لَمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (الشجاعة في الحرب والجبن) حديث رقم (٢٨٢٠) (الفتح ٦ /٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (ما يتعوذ من الجبن) حديث رقم (٢٨٢٣) (الفتح ٦ / ٤٤) .

يمْسسْهُمْ سُوءٌ واتّبعُوا رِضْوان اللَّه واللَّهُ ذُو فضْل عظيم * إنّما ذلكُمْ الشّيْطانُ يُخوّفُ أوْلياءهُ فلا تخافُوهُمْ وخافُون إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنين»[١].

وقال – سبحانه – : «فلا تخْشوُا النّاس واخْشوْن»[٢].

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري – ﷺ – أن رسول الله (ﷺ) قام خطيباً فكان فيما قال : " ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه " قال : فبكى أبو سعيد وقال : قد والله رأينا أشياء فهبنا "[٣].

وعن أبي سعيد الخدري – ﷺ – قال : قال رسول الله (ﷺ) : " لا يحقر أحكم نفسه " قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : " يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه . فيقول الله – عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى "[٤].

كل هذا غرس لخُلُق الشجاعة في القلوب لتحرك القوالب إلى ميادين الشرف والفخار سلماً وحرباً .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات رقم/ ١٧٣ – ١٧٥ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية رقم/ ٤٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه بلفظه في سننه في كتاب (الفتن) باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث رقم (٤٠٠٧) (٢ / ٤٩٨) ، وأخرجه الترمذي بنحوه بلفظ مطول في سننه في كتاب (الفتن) باب (ما جاء ما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة) حديث رقم (٢١٩١) (٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه – منفرداً به عن الكتب الستة – في كتاب (الفتن) باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث رقم (٤٠٠٨) (٢ / ٤٩٨) ؛ وأخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١١١٩٤) (١٠ / ٩٩) وقال المحقق أ/ حمزة أحمد الزين : إسناده صحيح.

ثالثاً : الصبر :

معلوم أن الحياة مزيج من اليسر والعسر والرخاء والشدة والصحة والمرض والنصر والهزيمة ....إلخ ، قال – سبحانه – : «وتلك الْأَيَامُ نُداوِلُها بيْنَ النّاس»[١].

والإنسان عبر مسيرة الحياة بحاجة ماسة إلى الصبر ليواجه به الأزمات والشدائد ، ومن أقساها أزمات الهزيمة وشدائدها ، والصبر على تكاليف الجهاد ، الصبر على المكاره والنتائج المرة لوجود المحتل في البلاد يعيث فساداً ، الصبر المقرون بالعمل الجاد أملاً في تحقق النصر .

وقد أمر الله عباده في – مواضع كثيرة – من القرآن الكريم – أن يتحلوا بخلق الصبر لمواجهة شدائد الحياة ووعدهم على ذلك بمعيته ، ومن كان الله معه فمن يكون عليه ؟!

قال – سبحانه – : «يَا أَيُّها الّذين آمنُوا اسْتعينُوا بالصّبْرِ وَالصّلاةِ إنَّ اللّه مع الصّابرين * وَلا تَقُولُوا لمنْ يُقْتلُ في سبيل اللّه أَمْواتٌ بلْ أَحْياءٌ ولكنْ لا تشْعُرُون * ولنبْلُونّكُمْ بشَيْءٍ منَ الْخوْف والْجُوعِ ونقْص منَ الْأَمْوال والْأَنْفُس والثّمرات وبشّر الصّابرين * الّذينَ إذا أَصابتْهُمْ مُصيبةٌ قالُوا إنّا للّه وإنّا إليْه راجعُون * أُولئك عليْهمْ صلواتٌ منْ ربّهمْ ورَحْمَةٌ وأُولئك هُمُ الْمُهْتدُون»[٢].

وقال – جل وعلا – موجهاً للمسلمين أثناء غزوة بدر الكبرى – : «واصْبرُوا إنّ اللّه مع الصّابرين»[٣].

وقال – تباركت أسماؤه – : «قال مُوسى لقوْمه اسْتعينُوا باللّه واصْبرُوا إنّ الْأَرْض للّه يُورثُها منْ يشاءُ منْ عباده والْعاقبةُ للْمُتّقين»[٤].

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية رقم/ ١٤٠

(٢) سورة البقرة الآيات رقم/ ١٥٣ – ١٥٧

(٣) سورة الأنفال ، من الآية رقم/ ٤٦

(٤) سورة الأعراف ، الآية رقم/ ١٢٨

وقال (ﷺ) : " لا تمنّوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموهم فاصبروا "[١].

فالصبر مفتاح الفرج، والنصر مع الصبر بإذن الله تعالى .

رابعاً : الإخلاص :

الإخلاص مدار قبول العمل ، قال – تعالى – : «فمنْ كان يرْجُوا لقاء ربِّه فلْيعْملْ عملاً صالحاً ولا يُشْرِكْ بعبادة ربِّه أحداً»[٢]، وقال – سبحانه – : «وما أُمِرُوا إلَا ليعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصينَ لهُ الدِّينَ حُنفاءَ »[٣].

وإخلاص النية يجعل الإنسان لا يدخر جهداً لتحقيق المراد ، فهو دافع داخلي يستجلب العون الإلهي كما قال –سبحانه– : «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم.» [٤]، بل إن الإخلاص هو الذي يُفعِّل كافة الأخلاق السابق ذكرها ، فبدون تحققه تكون الإيجابية رياء ، وتكون الشجاعة رياء ، ويكون الصبر رياء ، وكل ما دخل في دائرة الرياء يذهب هباءً منثوراً، وفي ميدان القتال وساعة الالتقاء لا يثبت أهل الرياء ، وإن قُتلوا فليسول بشهداء .

فعن أبي موسى – ﷺ – قال : سُئلَ رسول الله (ﷺ) عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياءً أيُّ ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب (الجهاد والسير) باب (كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) حديث رقم (١٧٤٢) (بشرح النووي ١٢ / ٤٥) .

(٢) سورة الكهف ، من الآية رقم /١١٠.

(٣) سورة البينة ، من الآية رقم/ ٥ .

(٤) سورة الأنفال ، من الآية رقم/ ٧٠ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) حديث رقم (١٩٠٤) (بشرح النووي ١٣ / ٤٩) .

ولذلك حذر الله عباده المؤمنين – في غزوة بدر – من الرياء الذي يجلب الهزيمة فقال – سبحانه – : «ولا تكونُوا كالَّذين خرجُوا منْ ديارهمْ بطرا ورئاء النَّاس ويصدُّون عنْ سبيلِ اللّه واللّهُ بما يعْملُون مُحيطٌ»[١].

فاللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل. آمين.

خامساً : التزام الأخلاق الإسلامية في الميادين العسكرية :

لقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الميادين العسكرية من منظور غير المسلمين ميادين لا أخلاق لها ، وواقع حروبهم يؤكد ذلك .

أما في الإسلام فإن الأخلاق تظلل كافة الميادين : ومنها الميادين العسكرية التي شهدت على مر التاريخ الإسلامي آداباً وأخلاقاً مثالية ترجمها المسلمون في غزواتهم ومعاركهم إلى واقع أشاد به الأعداء قبل الأصدقاء ، والالتزام به مجلبة لعون الله وتوفيقه ونصره ، وتتجلى هذه الآداب وتلك الأخلاق من خلال ما يلي :

* عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا أمّر أميرا على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغُلُّوا ولا تَغْدُروا ولا تمْثُلُوا ولا تقتلوا وليداً .... الحديث "[٢].

قال الإمام النووي :" وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مُجْمعٌ عليها ، وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهية المثلة واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله – تعالى – والرفق بأتباعهم

---

(١) سورة الأنفال . الآية رقم ٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (تأمير الإمام الأمراء على البعوث) حديث رقم (١٧٣١) (بشرح النووي ١٢ / ٣٧) .

وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب"[١].

ولكن كيف يتم التوفيق بين هذا وبين قول الرسول (ﷺ) : " الحرب خُدْعة"[٢].

قال النووي :" اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل .

وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء ، أحدها في الحرب ، قال الطبري : إنما يجوز من الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل ، هذا كلامه ، والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم "[٣].

* عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي رسول الله (ﷺ) مقتولة فأنكر رسول الله (ﷺ) قتل النساء والصبيان . [٤]

قال النووي :" أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا ، فإن قاتلوا قال جماهير العلماء : يُقتلون ، وأما شيوخ الكفار فإن كان فيهم رأي قُتلوا وإلا ففيهم وفي الرهبان خلاف ، قال مالك وأبو حنيفة : لا يُقتلون ، والأصح في مذهب الشافعي قتلهم "[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٢ / ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في كتاب (الجهاد والسير) باب (الحرب خدعة) حديث رقم (١٧٤٠) (بشرح النووي ١٢ / ٤٥) .

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام /النووي ١٢ / ٤٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (تحريم قتل النساء والصبيان) حديث رقم (١٧٤٤) (بشرح النووي ١٢ / ٤٨) .

(٥) شرح صحيح مسلم للإمام /النووي ١٢ / ٤٨ .

وجاء في فتح الباري لابن حجر : " واتفق الجميع كما نقل ابن بطال وغيره على منع القصد إلى قتل النساء والولدان ،وإما النساء فلضعفهن ، وأما الولدان فلقصورهن عن فعل الكفر ، ولما في استبقائهم جميعا من الانتفاع بهم إما بالرق وإما بالفداء فيمن يجوز أن يُفادى به "(١).

وتحت عنوان (تحريم قتل النساء والأطفال والأُجراء والعبيد في الجهاد) جاء في كتاب (فقه السيرة) للدكتور / البوطي :" اتفق العلماء والأئمة كلهم على ذلك ، ويستثنى منه ما إذا اشتركوا في القتال وباشروا في مقاتلة المسلمين ، فإنهم يُقْتلون مقبلين ويجب الإعراض عنهم مدبرين.

كما أنه يُستثنى ما إذا تترس الكفار بصبيانهم ونسائهم ، ولم يمكن ردَ غائلتهم إلا بقتلهم ، فإن ذلك جائز ، وعلى الإمام أن يتبع ما تقتضيه المصلحة "(٢).

وقد وردت أحاديث تجيز قتل النساء والصبيان في غير البيات من غير تعمُّد ، فعن ابن عباس عن الصعب بن جَثَّامة قال : سُئل النبي (ﷺ) عن الذراري من المشركين يُبيَّتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم . فقال : هم منهم "(٣).

" والمراد إذا لم يتعمدوا من غير ضرورة ، وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النساء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا "(٤).

* وقد اقتدى الخلفاء والأمراء برسول الله (ﷺ) في وصية الجيش قبل خروجه ، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق - ﷺ - خليفة المسلمين يوصي جيش أسامة بن زيد قائلاً :" أيها الناس قِفوا أُوصكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيرا ، ولا امرأة ، ولا

---

(١) فتح الباري ٦ / ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) فقه السيرة ، د/ البوطي ، صـ ٢٩٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد) حديث رقم (١٧٤٥) (بشرح النووي ١٢ / ٤٩) .

(٤) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٢ / ٤٩.

تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحصوا أساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله"[١].

وهذه الوصايا تبين آداب الحرب في الإسلام ، والتي تقوم على المُثُل العليا مع الإنسان والحيوان والنبات . فأين هذا مما يفعله غير المسلمين ؟!

سادساً : الإيثار :

لقد مدح الله الأنصار بكونهم من أهل الإيثار ، قال – سبحانه – : «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[٢].

وخُلُق الإيثار لازم لتحقيق النصر على الأعداء ، إذ أن من يتخلق به يُؤثر العز على الذل ، ويؤثر القوة على الضعف ، ويؤثر الآخرة على الدنيا ، فيشارك بفاعلية وفدائية في ميادين الجهاد، وكله استعداد للتضحية وبذل النفس والمال في سبيل الله ، وصفحات تاريخ الغزوات والمعارك مليئة بالمشاهد الجليلة التي تدل على أهمية تلك الأخلاق ودورها الفعّال في تحقيق النصر بإذن الله تعالى .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢ / ٢٤٦

(٢) سورة الحشر ، من الآية رقم ٩

المبحث السابع

العوامل العسكرية للنصر على الأعداء في ضوء الإسلام

بداية أريد أن أقرر أن النصر ليس بالضرورة أن يكون نتيجة لمعركة قتالية ، بل يمكن أن يتحقق النصر دون أن تقوم معركة أصلا ؛ وذلك عندما تحرص الأمة – وقت السلم – على تطبيق العوامل السابق ذكرها في كافة الميادين ، إذ أن تطبيقها يجعل الأمة قوية عزيزة مُهابة الجانب يخشاها الأعداء فيفكرون ألف مرة قبل أن يحاولوا الاعتداء عليها أو النيل منها ، وهذا النصر السلمي – بلا شك – أعظم للأمة وأحفظ لقواتها وثرواتها التي تُستنزف في ميادين القتال .

وإذا كانت الميادين السلمية يُغْفل عنها في بعض الأحيان ، فإن الميدان العسكري لا يمكن أن يُغْفل عنه ؛ إذ أنه يمثل – في طريق النصر – الميدان المباشر والبارز على صعيد المواجهة مع العدو ، ولذا كانت الحاجة ماسة إلى الوقوف على بعض العوامل الوثيقة الصلة بالميدان العسكري ، والتي من شأنها أن تحقق النصر على الأعداء بإذن الله تعالى ، وهي كالتالي :

أولاً : التربية العسكرية للأمة :

من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيرا من خصائصها العسكرية ، فكان ذلك سببا من أسباب ضعفها وعجزها في ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، وضعُفت الأجسام ، ونشأ الناس على التنعم ، وهجر الناس أنواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية ، واستبدلوا بها ألعابا لا تفيدهم شيئا "[١].

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، صـ ٤٠٤ ، ٤٠٥ بتصرف .

وأذكر أن (التربية العسكرية) كانت مادة تدرس نظرياً وعمليا في مدارسنا ، لكني لا أدري لماذا أُلغيت مع أن حاجة الأمة إليها الآن أكثر من ذي قبل !! وقد قال رسول الله (ﷺ) : " مَنْ عَلِم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى "[١].

فمن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يُعْنوا بتربية الأمة تربية عسكرية ، اقتداءً برسول الله (ﷺ).

فعن سلمة بن الأكوع - ﷺ - قال : مر النبي (ﷺ) على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي (ﷺ) : ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله (ﷺ) : ما لكم لا ترْمون ؟ قالوا : كيف نرْمي وأنت معهم ؟ فقال النبي (ﷺ) : ارموا فأنا معكم كلِّكم"[٢].

ثانياً : إعداد القوة العسكرية :

قال - سبحانه - : «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ »[٣].

والقوة في الآية جاءت منكرة تفيد العموم فتشمل كل أنواع القوة ، وعلى وجه الخصوص (القوة العسكرية) التي يتم التركيز عليها أثناء المواجهات مع العدو ، وتبقى قوة الأمة في كافة الميادين تمثل الأرض الصلبة التي ترتكز عليها القوة العسكرية ، وتمثل الطاقة الفذة التي تمد الميادين العسكرية بكافة مفردات القوة المادية والمعنوية .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبه بن عامر - رضي الله عنه - في كتاب (الإمارة) باب (فضل الرمي والحث عليه) حديث رقم (١٩١٩) (بشرح النووي ١٣ / ٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (لتحريض على الرمي) حديث رقم (٢٨٩٩) (الفتح ٦ / ١١٣) .

(٣) سورة الأنفال . من الآية رقم/ ٦٠ .

وإظهارا لأهمية القوة العسكرية خصوصاً فسّر النبي (ﷺ) القوة المأمور بإعدادها في الآية القرآنية بقوله في الحديث الشريف : " ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ". (١)

قال القرطبي :" فضل الرمي عظيم ، ومنفعته عظيمة للمسلمين ، ونكايته شديدة على الكافرين ... ولما كانت السهام من أنجع ما يُتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولا للأرواح خصّها رسول الله (ﷺ) بالذكر لها والتنبيه عليها "(٢)، ولا شك أن كل آلة حربية تستجد تحقق الغاية فإنها تُقاس على الرمي وتجري مجراه.

والقوة العسكرية لا تولد وقت القتال ، وإنما هي ثمرة كفاحٍ طويل من الإعداد ، وما كان النبي (ﷺ) يفرغ من غزوة إلا أخذ في التأهب والاستعداد لغزوة أخرى ، أما الإخلاد إلى الراحة والدعة وعدم وضع احتمال المواجهة مع العدو وضع الجدية والاعتبار إلا بعد أن تقع الكارثة فهذا لا يحقق النصر للأمة .

ثالثاً : التخطيط العسكري القائم على المعرفة :

إن العشوائية – بلا شك – تحقق الهزيمة في ميدان السلم ، تأخُّراً عن ركب التقدم ، وبناءً عليه فإنها تحقق الهزيمة في ميدان الحرب من باب أولى .

فالأمة – وهي على طريق الكفاح لتحقيق النصر – بحاجة إلى تخطيطٍ واعٍ ودقيق في كافة الميادين وعلى وجه الخصوص الميدان العسكري ، وهذا التخطيط العسكري يحتاج إلى قاعدة معرفية واسعة بطبيعة العدو وطبيعة المعركة ، لتكون تلك المعرفة سبيلا من سُبُلِ النصر، فالوقوف على أحوال العدو (عددا وعُدَة وخُطَة) يترتب عليه إعداد العدة اللازمة والخطة المناسبة للمواجهة وتهيئة النفوس ؛ خروجاً

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – في كتاب (الإمارة) باب (فضل الرمي والحث عليه) حديث رقم (١٩١٧) (بشرح النووي ١٣ / ٦٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٥ ، ٢٦.

من دائرة الصدمة التي يحدثها الجهل بحال العدو ثم يكون الأمر على خلاف المتوقع لكن في حالة العلم بحال العدو تُؤخذ الأسباب وتُعدُّ العُدَة ، وعلى أقل تقدير تتهيء النفوس لمواجهة شرسة في ميدان معركة غير متكافئة من الناحية المادية فتتعم الناحية المعنوية والقوة الإيمانية لتجعل الأجساد تصمد وتثبت في الميادين العسكرية ، وهو ما وردت فيه آيات كثيرة ، مثل قوله – تعالى – : «كمْ منْ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذْن اللَّه»[١] وقوله – سبحانه –«قدْ كان لكُمْ آيةٌ في فئتيْن الْتقتا فئةٌ تُقاتل في سبيل اللَّه وأُخْرَى كافرةٌ يرونَهُمْ مثْليْهِمْ رأْيَ الْعيْن واللَّهُ يؤَيِّدُ بنصْره منْ يشاءُ إن في ذلك لعبْرةً لأُولي الْأبْصار» [٢]، وقوله – جل شأنه – : «يا أيُّها النَّبيُّ حرِّض الْمُؤمنين على الْقتال إنْ يكُنْ منْكُمْ عشْرُون صابرُون يغْلبُوا مائتيْن وإنْ يكُنْ منْكُمْ مائةٌ يغْلبُوا ألْفا منَ الَّذينَ كفَرُوا بأَنَّهُمْ قوْمٌ لا يفْقهُون * الْآن خفَّف اللَّهُ عنْكُمْ وعلم أنَّ فيكُمْ ضعفا فإنْ يكُنْ منْكُمْ مائةٌ صابرةٌ يغْلبُوا مائتيْن وإنْ يكُنْ منْكُمْ ألْفٌ يغْلبُوا ألْفيْن بإذْن اللَّه واللَّهُ معَ الصَّابرينَ»[٣].

إن الحرب تعتمد على المعلومات الدقيقة الوافية عن العدو " إن خصومنا يعرفوننا تماماً من قمة رأسنا إلى أُخمص قدمنا ، بل نحن – كما قال الدكتور / كمال أبو المجد في محاضرة له في جامعة قطر – مكشوفون لهم حتى النخاع ، فهل عرفنا نحن خصومنا ؟ وأقصد بخصومنا أصحاب المشروع الحضاري المخالف لمشروعنا وكل الخائفين منا والطامعين فينا ، وإذا كنا لم نعرف أنفسنا كما عرفها غيرنا فأنى لنا أن نطمع بمعرفتهم "[٤].

إن الميادين العسكرية لا تستغني عبر الزمان عن سلاح المخابرات الذي يكشف لها طبيعة العدو (عدداً وعُدَة وخطة) لإعداد ما يلزم للمواجهة .

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم/ ٢٤٩.

(٢) سورة آل عمران ، الآية رقم/ ١٣ .

(٣) سورة الأنفال ، الآيتان رقم/ ٦٥ ، ٦٦ .

(٤) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د/ يوسف القرضاوي صـ ٨٥ .

وإستراتيجية استطلاع أخبار العدو من خلال بث العيون بين الأعداء لمعرفة شأنهم وأحوالهم ، وإعمال الفطنة العسكرية لاستنباط قدراتهم من خلال القرائن ، كل هذا انتهجه رسول الله (ﷺ) في غزواته ؛ ليقتدي به القادة إلى قيام الساعة :

* ففي غزوة بدر أخذ النبي (ﷺ) يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريق العيون التي بثها حتى علم موقعهم ، وأنهم ما بين التسعمائة والألف من خلال معرفة عدد الإبل التي ينحرونها يومياً ، وأن فيهم عامة زعماء المشركين [١].

" فها هي المخابرات النبوية في بدر تكشف موقع العدو وعدده وعدته قبل الدخول في المعركة "[٢].

* وعن جابر – رضي الله عنه – قال : قال النبي (ﷺ) : " من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : من يأتيني بخبر القوم ؟ قال الزبير : أنا . قال النبي (ﷺ) : إن لكل نبي حواريًا وحواريَّ الزبير "[٣].

قال ابن حجر :" وفي الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد "[٤].

* وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : " لقد رأيتنا مع رسول الله (ﷺ) ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله (ﷺ) : ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد . ثم قال : ألا رجلٌ يأتيني

---

(١) للوقوف على هذا تفصيلا راجع : السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير الغضبان صـ ٢٩٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل الطليعة) والطليعة : من يبعث إلى العدو ليطلع على أحوالهم ، وهو اسم جنس يشمل الواحد فما فوقه حديث رقم (٢٨٤٦) (الفتح ٦ / ٦٥ ، ٦٦) .

(٤) فتح الباري ٦ / ٦٦ .

بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد . فقال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ... الحديث "[١].

قال الإمام /النووي : " وفي هذا الحديث أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبار العدو "[٢].

وقد قرر العلماء أن " القصة التي ذهب لكشفها الزبير غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها ، فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين ، وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف ، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف ، وحذرت كل طائفة من الأخرى ، وأرسل الله – تعالى – عليهم الريح ، واشتد البرد تلك الليلة فانتدب النبي (ﷺ) من يأتيه بخبر قريش ، فانتدب له حذيفة بعد تكرار طلبه ذلك"[٣].

* وفي غزوة حنين يقول ابن إسحاق : " ولما سمع بهم نبي الله (ﷺ) بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (ﷺ) وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله (ﷺ) فأخبره الخبر "[٤].

ومن خلال ما سبق يتبين أنه " يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين ، يبثهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خططهم وأحوالهم وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد ، ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (غزوة الأحزاب) حديث رقم (١٧٨٨) (بشرح النووي ١٢ / ١٤٥ ، ١٤٦)

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢ / ١٤٦ .

(٣) فتح الباري ٧ / ٥١٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٣٣.

بشرط أن لا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو ، وربما استلزمت الوسيلة تكتّما أو نوعا من المخادعة أو التحايل ، وكل ذلك مشروع وحسن من حيث إنه واسطة لا بد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم"[١].

وعلى هذا الأساس المعرفي تنسج الخطط العسكرية المناسبة لإحراز النصر بإذن الله تعالى .

---

(١) فقه السيرة للبوطي صـ ١٦١

رابعاً : كفاءة القيادة العسكرية الإسلامية :

كما هو معلوم أن الجيش بقائده ، وقد كان النبي (ﷺ) قائدا عظيما اجتمعت فيه مؤهلات القيادة ، وكان يُعْني (ﷺ) عناية فائقة بإبراز ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية القيادية العسكرية من توافر عنصر العبقرية والخبرة والكفاءة العسكرية ، وتوافر القدوة في الشجاعة والإقدام والثبات ، وتفعيل الشورى بينه وبين ذوي الرأي والخبرة في الميادين العسكرية، والقدرة على إثارة الحماس واستنهاض الهمم ، وقبل كل ذلك وبعده قوة الإيمان واليقين والثقة بأن الله يؤيد بنصره من يشاء ، ولا يُغْلَبُ من نصره الله .

كما عُنِي (ﷺ) بإبراز ما ينبغي أن سسود العلاقة بين القائد والجند من الحب والتقدير والمشاركة والمساواة ..إلخ ، وعلى هذه الأسس كان النبي (ﷺ) يختار القيادات العسكرية التي تتوافر فيها مؤهلات القيادة .

عن سهل بن سعد – ﷺ – قال : قال النبي (ﷺ) يوم خيبر : " لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . فبات الناس ليلتهم أيهم يعطي ، فغدوا كلهم يرجوه ، فقال : أين علي ؟ فقيل : يشتكي عينيه ، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه ، فقال : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم "[1].

إنه عليٌّ ، البطل الفدائي ، وسار على هذا الخلفاء المسلمون ، يضعون القيادة العسكرية في بؤرة الاهتمام والانتقاء .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل من أسلم على يديه رجل) حديث رقم (٣٠٠٩) (الفتح ٦ ١٧٨) .

خامساً : تميز الجندية الإسلامية :

إذا كان الجيش بدون قيادة واعية لا يحقق نصرا فكذلك القيادة بدون جيش سديد شديد لا يحقق نصرا .

والجيش الإسلامي على وجه الخصوص ترتكز قواته على ركيزة الإيمان ، فيثمر هذا الإيمان : الشجاعة والفدائية والانتماء والانضباط وحفظ الأسرار والسمع والطاعة للقيادة العسكرية .

وما أكثر الصفحات المشرقة في تاريخ العسكرية الإسلامية التي جسّدت تلك المعاني السامية للجندية الإسلامية .

سادساً : امتثال التوجيهات الإسلامية في ميادين القتال :

ومن هذه التوجيهات (الدعاء والتضرع لرب الأرض والسماء) في ميادين القتال ، فإنه أرجى للقبول ، " وقد اتفق العلماء على استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو "(١).

قال – سبحانه – : «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتجاب لكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْف من الْملائكة مُرْدفين»(٢).

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال النبي (ﷺ) يوم بدر : " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تُعْبد ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر "(٣).

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام /النووي ١٢ / ٤٧ .

(٢) سورة الأنفال ، الآيتان رقم/ ٩ ، ١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (المغازي) باب (٤) حديث رقم/ (٣٩٥٣) (الفتح ٣٦٤/٧) .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله (ﷺ) على الأحزاب فقال : "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم "[١].

ومن هذه التوجيهات ما ورد في قول الله – تعالى – :

«يا أيُّها الَّذين آمنُوا إذا لقيتُمْ فئة فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّه كثيرا لعلَّكُمْ تُفْلحُون * وأطيعُوا اللَّه ورسُولهُ ولا تنازعُوا فتفْشلُوا وتذْهب ريحُكُمْ واصْبرُوا إنَّ اللَّه مع الصَّابرين * ولا تكُونُوا كالَّذين خرجُوا منْ ديارهمْ بطرا ورئاء النَّاس ويصُدُّون عنْ سبيل اللَّه واللَّهُ بما يعْملُون مُحيطٌ»[٢].

وعبر تاريخ العسكرية الإسلامية تجني الأمة ثماراً مُرَّة للمخالفة والإعراض عن منهج النصر المستمد من رسالة السماء ، وفي المقابل تجني ثمار العزة والفخار والسيادة والازدهار في ظل الالتزام بمنهج الإسلام . اللهم ارزقنا حسن الاتباع والاقتداء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو) حديث رقم (١٧٤٢) (بشرح النووي ١٢ / ٤٧) .

(٢) سورة الأنفال . الآيات رقم /٤٥ – ٤٧ .

الخاتمة

لماذا تأخر النصر ؟

يقول الشهيد / سيد قطب :

" قد يبطيء النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها ، ولم يتم بعد تمامها ، ولم تحشد بعد طاقاتها ، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات ، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلاً .

وقد يبطيء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها ، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر ، إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعد ذلك إلى الله .

وقد يبطيء النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله ، وهي تعاني وتتألم وتبذل ، ولا تجد لها سنداً إلا الله ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء ، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله ، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .

وقد يبطيء النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد فيْ كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته ، فهي تقاتل لمغنمٍ تحققه ، أو تقاتل حمية لذاتها ، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها . والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله ، بريئا من المشاعر الأخرى التي تلابسه .

وقد يبطيء النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير ، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصاً ، ويذهب وحده هالكا ، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار .

وقد يبطيء النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماما، فلو غلبه المؤمنون حينئذٍ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه الذين

لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله ، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة ، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية .

وقد يبطيء النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة ، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار، فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ، ولاستبقائه ، من أجل هذا كله ، ومن أجل غيره مما يعلمه الله قد يبطيء النصر فتتضاعف التضحيات وتتضاعف الآلام مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية . وللنصر تكاليفه وأعباءه حتى يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه ، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه "[1].

فهل نضج بنيان الأمة المؤمنة في عصرنا ؟ هل حشدت كل طاقاتها ؟ هل بذلت كل غالٍ ونفيس ؟ هل توثقت صلتها بالله ؟ هل تجردت في كفاحها وجهادها لله تعالى ؟ وهل الأمة صالحة لاستقبال النصر من الله واستبقائه ؟

هذه أسئلة الإجابة عنها يسيرة بشيء من التأمل في واقع الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر . الإجابة عنها يندى لها الجبين .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ٤ ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٧ بتصرف .

نتائج البحث

* الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى في خلقه باقية إلى قيام الساعة ، والحق قوته ذاتية ، والباطل قوته خارجية ، والقوة الذاتية أشد رسوخاً وأطول بقاءً.

* العالم الإسلامي بما حباه الله من ثروات مادية ومعنوية يستطيع أن يتقلد القيادة والريادة ويحول العالم من الشر إلى الخير ومن الظلمات إلى النور .

* النصر من عند الله – سبحانه – يؤيد به من يشاء ، ونصر الله للأمة الإسلامية مرهونٌ باستحقاقها هذا النصر ، فيجب أن تبذل الأمة جهدها لتكون أهلاً للاستحقاقات.

* عوامل النصر على الأعداء ليست إبداعية ، وإنما هي تطبيقية بالدرجة الأولى في حياة المسلمين ؛ لأن الإسلام فصّلها .

* عوامل النصر على الأعداء متكاملة لا يغني بعضها عن بعض ، وتحقيق النصر بحاجة إلى شمولية الأخذ بالعوامل كلها .

* عوامل النصر على الأعداء شاملة شمول الحياة ، فإذا صلُحت حياة المسلمين بكل جوانبها وفق كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) استحقت الأمة نصر الله .

توصيات البحث

* إحياء فقه الجهاد في سبيل الله – تعالى – بكل معانيه وشموليته في كافة المؤسسات التربوية والتثقيفية في الأمة الإسلامية .

* العمل على تذكير الأمة بمرارة الانكسار وآلامه، وحلاوة الانتصار وآماله ؛ لأخذ العظة والاعتبار ، والحذر من الوقوع في شرك الهزيمة مرة أخرى ، وبذل الجهد للاستفادة من ثمرات الانتصار أمناً ورخاءً وتقدماً.

* ضرورة العمل على تمييز الشخصية المسلمة عن غيرها من الشخصيات وتوضيح سمات الأمة المسلمة وملامحها .

* التحصين الثقافي الإسلامي ضد الغزو الفكري الوافد الذي يستهدف مسخ الشخصية الإسلامية وإيقاع الأمة في هوة سحيقة من التبعية ، ويتم التحصين ببيان واضح للثقافة الإسلامية وخطورة الغزو الفكري ومظاهره وآثاره حتى يحذره المسلمون .

* النهوض والإصلاح الشامل لكل ميادين الحياة الإسلامية .

* قيام أجهزة الدعوة الإسلامية بحمل لواء استنهاض الأمة من كبوتها لمواجهة الخطر الداهم الذي يتهددها في غفلة منها أو في استسلام لما آلت إليه من هزيمة نفسية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المراجع

اولا : القرآن الكريم

ثانيا : المراجع البشرية مرتبة ترتيباً هجائياً بعد (ال) مع ملاحظة أن رمز (ت) يشير إلى تاريخ وفاة المؤلف ، ورمز (ط) يشير إلى رقم الطبعة ، ورمز (د.ن) يشير إلى عدم وجود دار النشر ، ورمز (د.ق) يشير إلى عدم وجود رقم الطبعة ، ورمز (د.ت) يشير إلى عدم وجود تاريخ النشر .

١- أبو بكر الصديق (شخصيته وعصره) ، د/ علي محمد محمد الصَلاَبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، د.ق ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د/ علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣- أسد الغابة في تمييز الصحابة ، لابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ق.ت.

٤- أصول الدعوة ، د/ عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط السابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٥- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ، علي بن بخيت الزهراني ، دار طيبة بمكة ، دار آل عمار بالشارقة ، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٦- الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط السابعة ١٤٠٢هـ.

٧- بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة / محمد خليفة التونسي ، مكتبة التراث ، القاهرة ، ط الثانية ، د.ت .

٨- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ق.ت .

٩- تاريخ الخلفاء للإمام / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٠- تربية الناشئ المسلم ، د/ علي عبد الحليم محمود ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الثالثة ، ١٤١٥هـ .

١١- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام / محمد الرازي فخر الدين (٥٤٤ - ٦٠٤هـ) دار الفكر ، بيروت ،د.ق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١٢- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د/ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٣- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسي محمد بن عيسي بن سورة (٢٠٩ - ٢٩٧هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٤- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الخامسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٥- حكمة الدعوة وصفة الدعاة ، أبو الحسن الندوي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٦- خلق المسلم ، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٧- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، دار الحديث، القاهرة ، د.ق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٨- الرسول القائد ، اللواء / محمود شيت خطاب ، دار الفكر ، ط الخامسة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٩- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ، القاهرة ، د.ق.ت .

٢٠- سنن ابن ماجة ، للحافظ / أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ) وبهامشه كفاية الحاجة في تحقيق سنن ابن ماجة ، والزوائد من مصباح الزجاجة ، للحافظ / شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ) دار الفكر ، بيروت ، د.ق ، ١٤١٥هـ - ١٩١٥م .

٢١- صحيح مسلم بشرح الإمام / النووي ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، د.ق .ت.

٢٢- صفوة التفاسير ، د/ محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٣- علو الهمة ، محمد أحمد إسماعيل المقدم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،د.ق.ت .

٢٤- عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره) ، د/ علي محمد محمد الصلابي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.

٢٦- فقه السيرة ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي . دار السلام ، القاهرة ، ط السادسة عشرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٢٧- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط الثانية عشرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٨- قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، د/ محمد السيد الوكيل ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٢٩- كارثة في العالم الإسلامي (مأساة النزيف البشري وهجرة العقول) د/ محمد عبد العليم مرسي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٣٠- لسان العرب لابن منظور (٦٣٠- ٧١١هـ) دار المعارف ، القاهرة ،د.ق.ت .

٣١- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ شكيب أرسلان ، دار البشير ، القاهرة ، د.ق.ت .

٣٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ أبو الحسن الندوي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، د.ق. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣٣- المذهب الاقتصادي في الإسلام ، د/ محمد شوقي الفنجري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط الثالثة ١٩٩٧م .

٣٤- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، عبد الله حمد شبانة ، دار طيبة ، الرياض ، د.ق. ١٤٠٩هـ .

٣٥- المسند للإمام / أحمد محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٦- المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط العاشرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٣٧- واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ط الثالثة ١٤١٠هـ .